

برل الاشتراك من سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة البحوث الفكرية والعلمية والفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistiqueصاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
احمد حسن الزيات

الإدارة

ار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٨٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢٦ يوليوسنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الفريقان المتحاربان في فلسطين

الحق والباطل

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر القوض لدى الملكة السعودية

ويهدم المصارف ، ودور السينما وكل وسائل النشر والتضليل ،
فيا أيها العرب الساكنين ! انسحبوا المجال لدولة إسرائيل !
ويقول العرب : لا لابل نعالوا إلى كلمة سواء ، نسويكم
أيها الطراء المتطاولون بأهل البلاد الذين أكرم التاريخ فيها
لا يعرفون غيرها وطنا ، ولا يتخذون غيرها داراً ، فهلما إلى
الدولة الواحدة ، والشريعة المادلة ، والتآخي والتناصف .

فتقول هذه الوجوه الملمونة ، وهذه الفئات الطريفة : لا لا
إن أرضكم لنا ، ودياركم لدولتنا ، فازلوا على حكمنا صاغرين ...
ويحمي العربي ، وهو سمح لا خنوع ، وجواد لا جبان ،
وحليم لا ذليل ، ويستنصر حقه ، ويتوكل على ربه ويستمد سجاياه
وشيمه ، وأخلاقه ومكارمه ، ثم يستوحى تاريخه ويحشد مآثره
فيستبق إليه من أحداث تاريخه ومآثر أمته ما يثبت في الحقنة ،
ويوقره في الشدة ، وينتال إليه من عز ماضيه ومجد سلفه ما يهون
عليه كل خطب ، ويقحمه كل هول .

ويصول عليه عدوان اليهود ومن ورائه مدد من قوى أوروبا
وأفريكا ، وتدور به خدع المخادعين ونهاويل المهولين ، وهو العربي
الذي يعرف نفسه ويعرفه التاريخ ، ويهزأ بالشذائد إذا جد الجدد .
ويحفر الأحوال إذا اشتد البأس .

فأثبت في مستنقع الموت رجله

وقال لها : من تحت أخمصك الحشر

إن العربي يعرف ما في أيدي أعدائه وأعداء أعدائه من مكر ،

يحترق في فلسطين فريقان : فريق العرب يذود عن دماره ،
ويدفع عن حقه ، ويدعو إلى النصفة والمدل ، وإلى أن يعيش
هو وخصمه أمة واحدة في بلد واحد ، لكل حقه وعلى كل واجبه
وفريق آخر من شذاذ الآفاق وخبث الأقطار ، يلجئون على العرب
ديارهم بأيديهم المال والسلاح ، وما أورثهم تاريخهم والعيش الدليل
في أوروبا من ختل وغدر ، يظنون أنهم صاروا أمة لأن باطلا
يجمعهم ، وعدوانا يربط بينهم ، وكل فرقة منهم تنمى إلى أمة ،
وكل جماعة تنتسب إلى بلد ، وكل فرد يحمل سحنة تنافر سحنة
أخيه ولا تشبهها إلا في سمات الامنة فيها ، وميامم الخزي عليها
ويقول هؤلاء الأذولون : لا نرضى نصفة معكم ولا مساواة بكم
ولسنا نريد وطننا ودولة وأنف الحق راغم ، ودعوة العدل صاغرة
وإن لنا قوة من سلاحنا وماننا وحيلنا وفدونا وخيانتنا .
ولنا أهوان في أوروبا وأمريكا يسبحرون بالمال ، ويسخرون بكل
الوسائل رؤساء الدول ، وأئمة الساسة ، وأصحاب الصحف ،

مشاهدات وملاحظات :

تحية العلم ...

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصرى بك

المنشأ الثقافي لجامعة الدول العربية

—♦♦♦—

كانت جزيرة « كورفو » منتهى المرحلة الثانية من مراحل سفرى من بغداد إلى المغرب الأقصى قبيل الحرب العالمية الأخيرة هبطت بنا الطائرة المائية المطار البحرى فى المضيق الذى يفصل الجزيرة من البر ، وقت العصر ؛ ثم نقلتنا السيارة من هناك إلى فندق فى المدينة لنقضى الليلة فيه ، على أن نعود فى فجر اليوم التالى إلى المطار لنستأنف السفر نهائياً .

والطريق الذى يمتد بين المطار والمدينة كان طويلاً ، يمر من بين مزارع جميلة وقرى صغيرة ؛ شاهدنا فيها عدداً غير قليل من الرجال والنساء والأطفال ، كلهم فى ملابس أنيقة كأنهم فى يوم عيد . وكلما اقتربنا من المدينة رأينا علائم الزينة تزداد شيئاً فشيئاً ... إلى علمنا أن ذلك اليوم كان فعلاً من أيام السكرتال .

* * *

كنت قد زرت هذه الجزيرة الجلية مراراً ؛ غير أن تلك الزيارات كانت قديمة العهد جداً ؛ لأنها كانت تتمثل ببداية حياتى التدريسية فى حاضرة « الأبير » — يانيا — التى كانت يومئذ مركز ولاية تابعة للدولة العثمانية .

فكان من الطبيعى أن أشعر برغبة شديدة فى التجوال فى المدينة قبل حلول الليل ، بغية تجديد تلك الذكريات القديمة ومشاهدة الجزيرة — فى عهدها الحالى — بعد مرور هذه السنين الطويلة . فما كدت أعرف غرفتى وأضع فيها حقيبتى ، حتى خرجت من الفندق إلى الشوارع التى تعج بضجيج السكرتال . وأخذت أسير فى الطرق والميادين دون أن أسترشد بدليل ، غير مواكب التهرج نفسها .. إلى أن وصلت إلى الميدان الفسيح الذى يقع فى ظاهر المدينة ، حيث تلتقى شوارع عديدة فتمر منه جميع المراكب فى روحاتها وغدواتها التسكورية .

وما لديهم من مال وسلاح ، وما عندهم من علم وفن ؛ وإن كان يعرف كذلك ماله من حق ، وما عنده من كرامة ، وما فيه من إباء وما يمد به تاريخه من ثبات فى الأزمات ، وصبر فى الخطوب . فيقدم على الأحوال ذا كراً قول سلفه .

إذا هم أتى بين عينيه عزمه ونكبه عن ذكر العواقب جانباً ويتقدم فيزبده الهول مضاء ، والنار صفاء ، منشداً :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤس والحوادث تفعل فما لنت مناقاة صليبة ولا ذلتنا للذى ليس يحمل ولكن رحلتناها نفوساً كريمة نحمل مالا نستطيع فتحمل وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا

فصحت لنا الأعراض والناس هزل حسب الصهيونيون أن الأمم مال وربا ، وأشكال وألوان ، وهياكل وجدران ، وبني وعدوان ، وغفلوا عن حقيقة الإنسان الإنسان الكريم ، نفس كريمة ، وقلب شجاع ، وخلق أبى ، وما وراء ذلك صور وزخارف ، وخدع وأباطيل ، تذوب إذا وقدت النار ، وتبوح إذا سمى الوطيس .

ألا ساء قال الأوغاد ، وخاب ظنهم حين زين لهم أموالهم وزخارفهم أنهم للمرب أكفاء وأنداد . فلتبطل دعواهم الوقائع ، ولتكنذب ظنونهم المارك .

ألا إنه إن تحدى باطل الصهيونيين حق الرب ، وجرو شذاذ الآفاق على خير الأمم ، ولم يلقوا كفاء بغيرهم من ربح ، وجزاء عدوانهم من خزي .

فيا موت زرا إن الحياة ذميمة . ويا نفس جدى إن دهرى هازل أيها الرب الأباة ! إنه يوم له ما بعده ؛ فاصدعوا الأحوال بقلوب متففة ، وأيد مجتمة ، وامضوا إلى الناية التى هى بكم أجدر ، وبتاريخكم أيق . إنكم تقاتلون حيث قاتل آباؤكم فى البر، وك وأجنادين وحطين ، وقد حطموا الباطل فى كبريائه ، وردوا البنى فى غلوائه ، فززلوا بهؤلاء البغاة الديار ، وردوا جند الصهيونيين بالخرى والدمار . واتركوها على التاريخ ماثرة إلى ماثر آبائكم ، وسجلوها على الأيام مفخرة إلى مفاخر أسلافكم .

« ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم . »

عبد الوهاب عزازم

(للكلام صلة)

والأصوات التي تصدر من تلك الألوف المؤلفة من الجماهير ، حتى في وسط مهرجانات السكرتال ، وفي أصخب صفحات التهريج ؛ مع أن معظم أفراد المواكب كانوا قد أصبحوا شبه سكارى من شدة الفرح الذي استولى على جوانحهم من جهة ، ومن كثرة الكشوش التي ارتشفوها في مختلف الحانات من جهة أخرى . إن صوت البوق الذي يرافق إنزال العلم كان قد حمل الجميع على التوقف بفتة ، كأنهم كلهم جنود في نكبة عسكرية يأنغرون بأوامر قائد يحترمونه كل الاحترام .

أكبرت عندئذ كل الإكبار قوة « التربية المدنية والوطنية » المتأصلة في نفوس هذا الشعب . . هذه التربية التي تحمل الناس على عدم التقصير في أداء واجب « الاحترام للعلم » حتى بين ضجيج مواكب التهريج !

* * *

تذكرت هذه الواقعة — بعد ذلك — عدة مرات ، في عدة مناسبات . . وكانت الأخيرة منها ، قبل بضعة أيام :

كنت أسير مساء إلى « دار الرسالة » لزيارة صديقي الأستاذ أحمد حسن الزيات ؛ وكنت قد وصلت إلى رأس ميدان عابدين عند ما سمعت صوت بوق يدوي بنبرات متقطعة متساوقة . فالتفت حالاً إلى الشككات فرأيت العلم المصري الذي يرفرف فوق سارية البناية المرتفعة أخذ ينزل بخطوات بطيئة ، بصورة متساوقة مع نفخات البوق المتقطعة . . فوقفت هناك متولجها نحو الشككات ، لأمتع البصر بتتبع سير العلم باهتمام .

ولكني لاحظت بفتة أنني كنت الوحيد في هذا الموقف وهذا الاهتمام . . . وأما الذين كانوا يمرون مثلي في هذا الميدان ، فكانوا يواصلون سيرهم وكلامهم وعملهم . . كأنه لم يكن هناك شيء يستحق الالتفات : هنا جماعة من الأطفال يلعبون ، وهناك طائفة من النساء يتصايحن ؛ وفي كل الجهات عربات تمر ببطء ، وسيارات تسير بسرعة ؛ وعدد كبير من الناس يسرون في انجماها مختلفة ، ولا أحد منهم يلتفت إلى الشككات ، أو يرفع البصر إلى سارية العلم القائمة فوقها . . كأن كل ذلك لا يهمه أبداً ولا يخص أحداً غير الجيش وحده . .

وتذكرت عندئذ — بكل تفصيل — ما كنت شاهده

رأيت القوم — كهمدى بهم سابقاً — يملأون الجو ضجيجاً والميدان حركة ؛ ويتسابقون في الصحك والإضحاك بأقنعتهم القربية ، وأزيائهم المعجبية ، ورقعاتهم السريعة ، وأغانيتهم الخفيفة ، وأجواقهم المهرجة . وكان وصول كل موكب من المواكب إلى الميدان يستثير عاصفة من القهقهة والهتاف والصياح . . تندفع من حناجر آلاف المتفرجين المجتمعين هناك . وقفت مدة في زاوية من زوايا الميدان التي تطل على شوارع عديدة ، فتمكنت من مشاهدة المواكب الكثيرة ؛ وأخذت أتتبع حركات القوم بكل اهتمام .

واتفق أن وصل مرة أربعة مواكب غربية دفعة واحدة من شوارع مختلفة . فزاد نشاط الجميع زيادة هائلة . وصارت الجماعات التي تؤلف المواكب تندفع في العزف والرقص والتهريج اندفاعاً جنونياً ؛ وأخذت جماهير المتفرجين تغرب في القهقهة لإغراباً عجيباً ، كأنهم أصيبوا بنوبات عصبية تهز جميع أبدانهم هزاً عنيفاً .

* * *

وفي الوقت الذي كان هذا المرح والمرج قد بلغنا الحد الأقصى ، وأخذت حواسي تعجز عن تتبع هذه الحركات المعجبية ، وعن تمييز هذه الأصوات الخليطة ، توقفت كل الحركات بفتة ، وانقطعت كل الأصوات فجأة . . وظننت — في بادئ الأمر — أنه حدث حادث مروع جدد الفرح في النفوس ، فادى إلى هذا الوجوم العميق .

فأخذت أجيل بصري في كل الجهات ، لاستجلاء أسباب هذا التحول الفجائي إلى أن شاهدت في آخر الميدان في محل بعيد جداً ، علماً ينزل بالتدريج من فوق سارية كبيرة ؛ ولاحظت في الوقت نفسه صوت بوق — لم أنتبه إليه قبلاً — وفهمت عندئذ كل شيء .

كان ذلك وقت الغروب ، وقد حان موعد إنزال العلم من سارية الشككة العسكرية التي تقع في آخر الميدان ، والبوق كان يدوي إيداناً بذلك ، والناس قد توقفوا عن السير والحركة احتراماً لذلك للدلم .

وكان صوت هذا البوق قد قضى على كل الحركات

ما أحبها من نقلة !

للأستاذ محمود الخفيف

—•••••

أحب إلى نفسي بهذه النقلة إلى تاريخ أمريكا في سيرة زعيمها العظيم «أبراهام لنكولن» ، فإنه لمن أعظم ما يسر القراء لاربيب حديث صاحب العبقريات عن أشبه العبقرين في الغرب بابن الخطاب وما أولى لنكولن بنصيب مما يكتب المقاد ؛ ولو تفضل كاتبنا الكبير فمقد فصلاً أو أكثر من فصل ، فوازن بين لنكولن وعمر ، وهو خير من يفعل ذلك ، لمددت هذا من أفضل ما بلنت بكتابي من خير ...

وبعد ، فأرجو من أستاذنا الجليل أن يصدقني أن عنايتي بتاريخ لنكولن هي التي حفزني إلى كتابة هذا الفصل والذي سبقه ، إذ لا زلت من بعض الملاحظات التي أيدأها الكاتب الكبير غير مطمئن النفس ، وما كان ذلك دفاعاً عن كتابي بقدر

في كورفو ، أيام الكرنتال . . وتأملت — في ألم سرير — البون الشاسع بين ما حدث هنا وما حدث هناك .

بعد أن غاب العلم المصري عن عيني وانقطع صوت البوق عن أذن . . واصلت السير ، وأنا أقول في نفسي :

إن الوقوف لتحية العلم — بالصورة التي شرحها آنفاً — قد يبدو للمرء — في الوهلة الأولى — كظهور من المظاهر المادية التي لا تستحق الاهتمام . غير أن هذا الوقوف — في حقيقة الأمر — من الأعمال التي تتصل بتربية النفس اتصالاً وثيقاً ؛ فإن هذه الوقفة التي تضطر الإنسان إلى الخروج عن عالمه الخاص ، ولو لمدة قصيرة .. وتحمله على الانقطاع عن السير وراء مصالحه الشخصية ، ولو لثوان معدودة . وتجبره على الاهتمام بالعلم الذي يمثل وطنه وتاريخه ودولته ولو لفترة وجيزة . .

إن هذه الوقفة المادية ، لمثل هذه الأغراض المعنوية ، لا بد من أن تؤثر في النفس تأثيراً عميقاً ، ولا بد من أن تساعد على إيقاظ الشهور القوي وإشاعته مساعدة كبيرة .

أبو غلرويه ساطع المصري

ما هو رغبة مني في الاهتمام إلى الصواب .

لا زال تاريخ أسلاف لنكولن سرّاً في أطواء الزمن ، وأكبر الظن أنه سوف يبقى كذلك ، وماذا عسى تحويه الكتب عن أبيه النجار ، وعن جده لأبيه ، وقد كان كذلك نجاراً بين أحرار الغاية قتلاته رصاصة أطلقها عليه أحد الجنود الجر ؟ وماذا عسى أن يعرف عن أمه وهي ابنة سفيحة لرجل مجهول من أهل الجنوب ؟ ولولا أن تحدث بذلك لنكولن إلى صاحبه هرتدن ما عرف حتى هذا القدر من سيرتها ...

بذلك رددت على ما أخذه على الأستاذ الكبير من خلو كتابي من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ؛ وكان ما ذكره الأستاذ عميقاً على ذلك الرد قوله : « وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان السكافي عن أسلاف لنكولن غير ميسور ، لأن الرجل كان كما هو معلوم عصامياً خامل الآباء والأجداد ؛ ولكن الواقع أن اللاغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم » .

إذاً فلا سبيل لنا إلى أسلافه ، ويبقى بعد ذلك آباؤه المعروفون وما نعرف إلا آباء وأمه . ولقد ماتت أمه وهو في العاشرة من عمره فحرم من تأثيرها في نفسه ، ذلك التأثير الذي أثرت إليه في كتابي بقولي : « كان السلام ينتقل ببصره وخياله من أمه إلى أبيه ، وكانت أمه في أحاسيسها جادة ، تحس نفسه الصغيرة شيئاً من الحزن بطوف بنفسها ويتسرب إلى حكاياتها ؛ أما الأب فكان يميل إلى الروح والفكاهة ، ويتدفق إذ يحكي تدفق من لا تنطوي نفسه على شيء مما تنطوي عليه نفس الأم ، وما كان شيء من ذلك ليخفي على فطنة الغلام ، وأحدثت القصص الدينية أثرها في نفس الصبي وظلت عالقة بلبه وخياله ، وجرت في كيانه مجرى الدم في عروقه ، واختزن حافلاته ألفاظها بلصها حتى ليتحرك بها لسانه وإن لم يقصد » .

ولم يكن لأبيه من أثر في نفسه ولا من صفات نستطيع أن نردها إلى آباؤه فنعرف ، ولو بما يقرب من اليقين شيئاً عن أسلافه فنحل اللغز بعض الحل ؛ أما ذلك الذي كانت تنطوي عليه نفس الأم ، فرد في الأكثر إلى أنها كانت تبهل أباه ؛ على أني لم أسه عما قد يكون للوراثة من أثر في حياة لنكولن ، فأوردت

الرجل الذي بات يحزم متاعه بيده آخر ليلة قبل سفره إلى العاصمة ليجلس فوق كرسي وشغلون قد بنى نفسه بنفسه . وإنا انرى اعتماداً على نفسه واضحاً في كل أطوار سيرته حتى في هذا العمل الذي يبدو هيناً في ذاته وهو عظيم في مناه ، فقد شمر الرئيس ابراهام لنكولن بعلاً حقائبه بيده ويحزم متاعه دون معونة من أهله أو من صحبه ، فما اعتاد الرجل العظيم معونة من أحد !

إني أفهم أن ثأني المصادفة لحامل أو لدعى بشيء من اليسار أو الفوز مرة أو أكثر من مرة ، كما أفهم أن تحول المصادفة بين ذى جدارة وبين ما يريد مرة أو أكثر من مرة ؛ ولكنى لا أستطيع أن أرد ما يبلغه العظيم الحق من مكانة أو ما يصيبه من فوز إلى المصادفة ، وإلا فما معنى عظمته ، وما معنى العظمة الفردية على الإطلاق ؟ إن هذا يقتضيتنا أن ننكر عنصر الاستعداد الفردى ، أو ما نسميه العظمة الشخصية ، ونجعل تاريخ البشرية سلسلة أو سلاسل من المصادفات لا ندرى كيف تجري مجراها . ألا إن الرجل العظيم نفسه هو المصادفة ، فما هو إلا أن يتطلب عصره وجوده وينهياً لاستقباله حتى يستعمل السر وتشمل العصر كله ، وتسيطر عليه روح الرجل العظيم ، وهذا وحده الذى يفسر بروزه وسيطرته على غيره من الناس .

وما كان لنكولن بدعاً من العظماء ، فنذ اشتغاله بالسياسة اقترن اسمه بالشككة الكبرى التى شملت بلاده ، ألا وهى مشكلة الرق ، ثم ما زالت آراؤه فى هذه الشككة تتضح وتتسع دائرتها حتى اشتهر أمره . وإن له لقدرة فى الخطابة تملكه فى أفذاذ هذا الفن من المؤهوبين ؛ واغتدى لنكولن أحد رجال الحزب الجمهورى المدودين ، وكانت القلبة لهذا الحزب لأسباب كثيرة أهمها حسن سياسته فى مشكلة الرق ، ولقد اشتغل بالسياسة واهتم بمشكلة الرق غير لنكولن من كبار المؤهوبين ، ومع ذلك أخذ صيته ، وهو الحامى الفقير الذى لا جاء له ينظم يوماً بعد يوم حتى أغرقهم جميعاً ؛ وما المصادفة من أثر قط فى هذا ، وبهذا وحده انجبت القلوب إلى لنكولن وبخاصة بسد ما كان من جدال طويل على أعين الناس بينه وبين دوجلاس أحد قادة الديمقراطيين ، وإن اتجاه القلوب إليه هو « الترشيح » الذى تحسه الأنفس قبل وقوعه رسمياً ...

فاذا كان هذا جميعاً من المصادفات ، فيجب إذاً أن نتفن على معنى المصادفة ، وإلا هددنا حوادث التاريخ جميعاً بمصادفات ،

فى صفحة ١٥١ من كتابى ما قصه على صديقه هرنندن إذ قلت : « وإنه ليفضى إلى صاحبه هرنندن ذات يوم بمحدث عن أقاربه وصلته بهم ، ويتطرق الكلام أثناء هذا الحديث إلى منشاء فيكشف لنكولن لصاحبه عن سر يتصل بأمه ، وذلك أنه لا يعرف أجداده لأمه ، فقد كانت أمه التى أحبها والتى يحل ذكرها ابنة رجل مجهول ، وسيظل هذا الرجل مجهولاً أبداً ، وكل ما يستطيع أن يعرفه عنه أنه من أهل الجنوب ، وبيان ذلك أن جدته لأمه كانت تعيش وهى فتاة فى ولاية فرجينيا فى الجنوب فأصبحت ذات حمل وإن لم تزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحبل تضع أنثى ، وكانت هى وحدها التى تعرف والد هذه الأنثى ، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم . ذلك هو السر الذى يفضى به لنكولن إلى صاحبه على ما فيه مما يوجب الكتمان ، ويردف ابراهام قائلاً لصاحبه إنه كان ثمة من ميزة فيه لا يوجد مثلاً فى أحد من ذوى قرياه ، فردها لارب إلى أجداده المجهولين من أهل الجنوب » .

أما عن أثر المصادفة فى حياة لنكولن ، فإني أخشى أن يكون الذى يخرج به القارى مما كتبه الأستاذ الكبير فى هذا الصدد أن لنكولن مدين للمصادفة بكل شيء ، فقد قال الأستاذ فى مقاله الأول : « وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية لأنه لم ينجح قط فى انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة فى اللحظة الأخيرة أكبر الأثر فى هذا النجاح » ؛ وقال فى مقاله الثانى : « ولم يكن نصيب المصادفات التى كان لها أكبر الأثر فى الترشيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أوفى نصيباً من هذه المصادفات التى صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية » .

وأرجو ألا أثقل على أستاذنا العلامة حين أقول له إنى لازلت أخاصمه فى هذا ، وإنى لازلت أرد كل ما أصاب لنكولن من فوز إلى شخصيته ، فما أعرف فى العصاميين رجلاً مثله اتكأ على نفسه فى جميع أطوار حياته ، وما أعرف مثله من كانت الظروف كلها من عدوه . وكيف لعمري تصعد المصادفات بنجار ابن نجار إلى رئاسة الجمهورية ، وكان فى هذه الجمهورية آلاف النجارين غيره ؟ ذلك ما لا أستطيع أن أحمل خيالى على تصوره ، إن هذا

من شأنه أن يفضي إلى هذا التحول الخطير . ولقد كان جريبل من أشد خصوم لنكولن طيلة حياته ، وظل على لده حتى بعد أن ظفر لنكولن بالرئاسة . ولم تكن خصومته سيوارد إلا مفعمية إلى نجاح منافسه ، وهذا مما يجعلنا ترتاب فيما نسب إليه يوم ذلك المؤتمر العام . هذا إلى أنه لو فرض وقوعه كما ذكرنا فإنه أقل من أن يحول آراء المندوبين بالقدر الذي يؤدي إلى نجاح لنكولن . لقد مكن لنكولن لنفسه قبل ترشيحه ، وسبق هذا الترشيح نشاط وتنافس عظيم في القول والكتابة بين أنصار سيوارد وأنصار لنكولن ، وجاء انتصار لنكولن بعد ذلك متفقاً مع مكانته التي ظل عاملاً عليها ، لا طمعاً في الرئاسة ، ولكن استجابة لما كانت تهجس به نفسه .

ومع ذلك كله ، فقد كان من الجائز ألا يظفر لنكولن بالنصر في معركة الرئاسة وإن رشحه الجمهوريون ، ولكنه ظفر ونال مائة وثلاثين صوتاً من أصوات مندوبي الولايات الذين ينتخبون الرئيس وفق الدستور ، وكان عددهم ثلاثمائة رجل وثلاثة ، وهذا المدد قلما ناله رئيس من قبله .

لقد شق لنكولن طريقه إلى الرئاسة في مشقة ، وتحمل من عنت الأيام ومن قسوة الظروف ما يزيد في معنى عصاميته ، وما يحمل من الصعب بل من المستحيل على المرء أن يتصور أن المصادقات هي التي صمدت به إلى رئاسة الجمهورية ، ولقد ظل يشتغل بالسياسة أكثر من عشرين عاماً حتى نبه اسمه وذهب صيته في طول أميركا وعرضها ، وهو الذي خرج من بين أحراج غابة من غاباتها فقيراً ممدداً علم نفسه بنفسه ، ولم يتسكى منذ كان طفلاً إلا على نفسه ...

وبعد ، فإني أعود فأشكر للأستاذ الجليل ما أبداه من ملاحظات على كتابي كانت سبباً في هذه النقلة المستحبة في تاريخ البلاد الأمريكية ، ولعلنا نظفر منه بأمثالها ، وإني أسمع إذا صدقني كاتبنا الكبير أني لم أرد بالرد على ملاحظاته القيمة دفاعاً عن كتابي ، وإنما الصواب طلبت ؛ وما أبرئ نفسي من الخطأ ، ولست أرى أن كتاباً يوضع في تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة في عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات جلت أو هانت تلك الملاحظات .

وجعلنا أعمال يونانرت مثلاً أو سمد زغلول أو غيرهما من المصادقات ، وما هي إلا تلك القوة التي يمتاز بها الرجل العظيم ، أو تلك « الروح » التي لا تدرك ولا تفكر .

وهل نمد قضية الرق في ذاتها مصادفة ، واشتغال لنكولن بها مصادفة ؟ وما قيمة هذه المصادفة إن عدناها مصادفة ؟ والمهم هنا هو كيف علا صوت لنكولن فيها على جميع الأصوات ؟ وكيف نفذ إلى القلوب دون غيره ؟ وهل نمد مواهبه وفي مقدمتها الخطابة كذلك من المصادقات ؟ وإذا فاذا يبقى من « الرجل » ؟ ولقد فشل لنكولن في السياسة أكثر من مرة ، فإني كانت المصادفة ؟ هل نمد فشله كذلك مصادفة كما نمد نجاحه لو أنه نجح ؟ ولقد فاز درجلاس بمقدم الشيوخ دونه بعد صراعهما الطويل ، وعاد هو إلى عمله في المحاماة ؟

ودعى لنكولن بعد هذا الفشل إلى نيويورك فخطب الناس هناك فسحرم بيانه بعد أن سخروا من منظره ومن هندامه ومن شعره الأشعث الذي يعلو رأسه الكبير كأنه ألفاف الغابة . وقد قال الصحفي النساب جريبل وهو من خصومه : « ما من رجل استطاع أن يبلغ بخطابه لأول مرة ما بلغه لنكولن من عظيم الأثر في جمهور السامعين في نيويورك » .

ونشرت كبريات الصحف خطابه وبدأ اسمه يظهر بين أسماء المرشحين لرئاسة الجمهورية . ولما عقد الجمهوريون مؤتمرهم العام في شيكاغو في شهر مايو لاختيار أحدر رجالهم ليرشحوه للرئاسة ، كان سيوارد واثقاً من نفسه قليل الاكتراث بل لنكولن ، وقدم زعماء المؤتمر خمسة أسماء غيرهما وجرى الاقتراع على دفعات ، وأعلنت نتيجة الدفعة الأولى من الولايات ، فاذا سيوارد يزيد على لنكولن بسبعين صوتاً وصوت ، ثم أعلنت نتيجة الدفعة الثانية فاذا لنكولن لم يبق بينه وبين منافسه القوي إلا ثلاثة أصوات ، ثم تعلن نتيجة الدفعة الأخيرة ، فاذا إبراهيم يظفر على صاحبه ببضعة أصوات فحسب . وإذا فالأمر هنا أمر اختيار وتمحيص وليس للمصادفة دخل فيه . وما يقال عن عدم إعداد الأوراق اللازمة للاقتراع ونشاط جريبل وتحويله معظم المندوبين عن رأيهم فهو من قبيل ما يروى عن المارك الانتخابية مما يشبه القمص بفصد التسلية والتشويق أو بدافع المبالغة ، إذ لا شك أنه مما ينبغي أن يؤخذ في كثير من التحفظ أن تتحول آراء المندوبين في فترة قصيرة في أمر عظيم كاختيار رجل للرئاسة في غير سبب

صوم غاندى السياسى

الأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

—•••••—

الصوم تعليم دينى فرضته جميع الشرائع السماوية ، وسننه مختلف الأديان الأخرى . وجعلت من أدائه طاعة لله وتقرباً منه ، ومن مخالفته خروجاً على أوامره . ويعتبر الدين الهندوكى من بين تلك الأديان التى تشرع الصوم فى أوقات محددة ، وتلتزم الهندوكيين بقضائها ترافاً لله . ولكن الشعب الهندوكى العربى فى الروحية لم يكن بصيام الأيام التى يفرضها الدين ، ويقدم طوعية قربان صومه لله كلما نزلت به عنة ، أو أشقته مصيبة ، أو كلما ارتكب آثاماً يود التكفير عنها . وكانت أم غاندى من أولاء الهندوكيات الورعات المتعشقات التى لا تهمل صيامها الدينى ، فضلاً عن أنها كانت تنذر فى مناسبات مختلفة أن لا تأكل إلا إذا رأت الشمس . ويحدث أن تمضى الأيام تباعاً دون أن تأكل شيئاً لأنها لم تستطع رؤية الشمس خلف سحب الهند الكثيفة . فعقد غاندى منذ صغره أن يرى أمه تصوم صوماً طويلاً شاقاً ، ترك فى مخيلته أثراً مطبوعاً ظهر مفعوله فى حياته العامة .

فابتدأت زهرة غاندى الروحية تنبى فى أحضان تلك الأم النقية الصالحة التى تتمسك بفروض دينها . ثم أخذت تنمو حينما تلقن أول مبادئ الديانة الهندوكية ، ولس من مواطنيه تعلقهم بها ، ووجدتهم شعباً يؤمن بدين يحرم أكل اللحوم ، وينبذ لذيق الطعام ، ويمسح على الثياب ، ويشتهر بالزهد والتعشف . فشب غاندى نباتاً لا تنيره شهوة الأكل ، ولا يغريه فاخر المأكولات ، ويحترم تقاليد دينه . ففرست حياته الأولى مع أمه ، ثم نشأته فى ربوع شعب دينى ، المبادئ الروحية فى نفسه . وأصبح فكره ينزع دائماً إلى الناحية الدينية والروحية ، وينبى الحقائق الدينية على أى حقيقة تخالفها . وظهر كل ذلك واضحاً حينما خاض معترك الحياة الاجتماعية ، فكان يحارل أن يحمل كل ما يقابله من مشاكل بالطرق الدينية . وكان الصوم أول هذه الطرق كان غاندى فى أول الأمر يصوم صيامه الدينى ، أو يزيد

عليه أياماً ممدودة ، كلما طرأت مناسبة شخصية تدفعه لذلك . ولكن حينما أخذ نفوذه يقوى فى جنوب أفريقية ، وأصبح له أتباع مسئولون عن سلوكهم ونصرفاتهم ، حتى إذا ما صدر عنهم أى فعل يخالف تعاليم الدين ، أو يتعارض مع أصول الأخلاق ، أو يغاير ما ينادى به من مبادئ سياسية ، حتى عليه أن يحزن لحدوثه ويتألم ، ويشعر أنه مسئول عما أتوه من آثام ، وينذر صوم عدة أيام أو بضعة أسابيع ليكشف عذاب الصوم ما يحسه من وخز الضمير وكآبة الروح ، أو يخفف ضغط الشعور الأليم بالمسؤولية من ناحية ، وليكفر عن آثام أتباعه من ناحية أخرى . فكان صومه يؤثر فى نفوس أتباعه فيتألمون لأله ، إلا أنهم فى الوقت ذاته كانوا يجلبون مقاساته آلام صوم متواصل من أجلهم بدون أن يقترب ذنباً يستحق أن يطلب عنه الغفران . ولذلك حرصوا على ألا يقتربوا من المخالفات والأوزار ما يؤلم غاندى ، فيضطروا إلى أن يلجأ إلى صوم يسبب له مايكرهون من العناء والتعب فلما وجد غاندى ما لصومه من أثر عميق فى نفوس الهندوس ، أدرك بفطرته النفاذة ، وفهمه السليم لروح شعبه أنه يمكن أن يتخذ من الصوم ذريعة روحية مفيدة ، يخدم بها أغراضه الإصلاحية من تقويم أخلاق قومه ، وإصلاح حياتهم المادية والاجتماعية ، ورقية مستوهم السياسى ؛ كما أدرك أن قوة مفعول الصوم فى نفوس الهندوس سببه أنهم قوم لا يرمون إلا قوة الروح ، ولا يخضعون إلا لسلطان الدين ، فتمدد غمطابهم باللغة التى يجيدون معرفتها ويصدقون إليها . فاستعان بالصوم لخدمة مصالحهم ، لأنه يعبر عن قوة دينية ، وعن مظهر من مظاهر القدرة على تحمل الآلام ومقاساة الجوع ، فضلاً عن أنه وسيلة من وسائل تطهير الروح . فسهل عليه السيطرة به على قومه ، ونجح فى استخدامه إلى أبعد حد بحيث أصبح الصوم أمضى سلاح سياسى يعتمد عليه غاندى بصفته الشخصية للقضاء على الاضطرابات والفلافل التى كثيراً ما تحدث فى الهند ، ولتهدة ثورات النفوس الهائجة حتى يشملها الحب والوئام ، أو لتفادى ما تعرض له من أزمات سياسية ، وما يهددها من كوارث اجتماعية . وبرجم توفيق غاندى فى استخدام هذا السلاح الدينى فى السياسة إلى أسباب أهمها :

فهم غاندى العميق لمزاج شعبه الرومى ، ومعاملته بالأسلوب الوحيد الذى يصدق له دائماً .

ثم دقة حساسية غاندى وصدقه فى تلمس خطايا الشعب الحقيقية ، وقدرته الروحية ونفاذ بصيرته التى تخترق شفاف قلوب الجماهير ، وتشعرهم بأن خطاياهم قد مست أعماق نفسه ، فسببت له ألواناً مؤذية من الحزن والألم ، فرضى أن يحتمل غناء الصيام ليعفو الله عنهم . وذلك يوجد الفزع فى قلوب الشعب الذى يخاف على حياة الزعيم الذى يحبونه كل الحب فيضطرون للاستماع لنصائحهم والأخذ بأرائه السياسية والاجتماعية ، حتى لا يعود إلى صوم قد يكلف غاندى حياته ، وتفقد الهند بطلها القدس . ولقد صام غاندى حوالى خمسة عشر يوماً خلال الخمس والثلاثين سنة الأخيرة من عمره أذكر منها على سبيل المثال ثلاث مناسبات صام فيها غاندى ، لأوضح بعض الظروف المختلفة التى كان يصوم من أجلها غاندى . ولنبداً بصوم سببه أخلاق تذرّه عند ما كان فى جنوب أفريقية يشرف على التعليم فى المدرسة التى أنشأها بمزرعة العنقاء ، وتسمح باختلاط الصبيان والبنات بالرغم من تباين نشأتهم واختلاف أوساطهم . تحدث أن اعتدى أحد التلاميذ على مفات فتاة ، فلما سمع غاندى بهذا النبأ الأليم تألم وشعر أنه كتشرف على هذه المدرسة مسئول عما ارتكب ، فعاقب نفسه بصوم تسعة أيام ليخفف بها وطأة رجز الضمير وتأنيبه من جهة ، وليطلب المغفرة من الله لهذين الآتين من جهة أخرى . فكان لصيامه وقع أليم فى أهل الزرعة طهر ما علق بالنفوس من أفكار سوداء ، كما حرر نفس غاندى من كل ما انتابها من قلق واضطراب ، وأحل محل غضبه على المجرمين إحساساً بالمطف والشفقة عليهما ، فتوثقت العلاقة بينه وبين الأولاد والبنات .

أما عن الصوم الثانى فصامه غاندى بعد أن نزح عن جنوب أفريقية ورجع إلى الهند بصيته المعروف بمحاربة الاستعمار البريطانى ؛ فاستطاع بعد أن درس حال الهند من جميع النواحي أن يتولى زعامة الشعب الهندى . ثم أخذ يطالب باستقلال الهند الذاتى الذى وعدت إنجلترا أن تمنحه للهند بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، نظير ما قدمته لها من مساعدات حربية . فلم تكف الحكومة الإنجليزية بمراوغته ، بل أخذت تشدد الرقابة على

الهند ، كما فرضت عليهم أحكاماً عسكرية صارمة . فمزّم غاندى على أن يحاربها حرباً سلمية ، أى يحاربها بسلاح العصيان المدنى الذى حاربها به من قبل فى جنوب أفريقية ، واستطاع أن يلغى ضريبة الثلاثة جنيهات المفروضة على الهند هناك . إلا أنه شعر بصعوبة قيام شعب يقرب من أربعمائة مليون نسمة ، يختلف فيما بينه من حيث الدين والمعادن واللغة ، بمصيان إجماعى قبل أن تشبع روح كل فرد بأساليب العصيان المدنى السلمى . وهذا يتطلب تنظيماً دقيقاً لحركة العصيان ، حتى تستمد عن العنف والشغب والفوضى وحوادث السرقة والتخريب والحرق . فأخذ غاندى يحرن الشعب بأدى الأمر على المصيان ، بأن طالهم بمقاطعة كل ما هو إنجليزى . فقاطع الشعب التوظيف فى المحاكم الحكومية الظالمة ، والتعلم فى المدارس والجامعات الإنجليزية التى تفسد عقلية الهند ، وشراء السلع البريطانية . كما طالهم بمخالفة كل قانون جائر يضر بمصالحهم . وبعد أن تغلّلت مبادئ المقاومة السلمية فى النفوس ، وبعد أن بلغت حماسة الهند من القوة بحيث لا يستطاع إغفالها ، أعلن غاندى العصيان المدنى العام فى جميع أنحاء البلاد ، وكان يقطن أنه لن يحدث شيئاً يعسكر صفو سلمية هذا العصيان ، ولكن حدث أشد ما يبعثه إذ اصطدم الأهالى رجال الشرطة ، فهاج الشعب ، وأطلق الرصاص ، وأشملت النيران ، وارتقت الدماء ، فانتشرت الفوضى ، وكثرت حوادث النهب والإتلاف . فأرغم غاندى على أن يوقف هذا العصيان وبعثته ثلاث سرات متتالية ، وعلى أن يصوم أربعاً وعشرين ساعة من كل أسبوع تكفيراً عن الدم الذى أريق ، وقصاصاً لنفسه على فظائع بنى قومه ، حتى يشعرهم بمهجة عنفهم ، ويلزمهم حد اللائع الذى يجب عن طريقه أن تنال الهند استقلالها .

وكان الصوم الثالث سببه ما بين الهندوكيين والنبوذيين من نزاع ، لأن مشكلة النبوذيين من أولى المشاكل الاجتماعية الهندية التى وجه لها غاندى كثيراً من عنايته . وذلك لما وجد الهندوكيين يحتقرون النبوذيين أشد الاحتقار ، ويمتبرونهم أنجاساً ، ويحرمون معاشرتهم أو الاتصال بهم . فحاول غاندى أن يحوّل النزاع الاجتماعى بين جميع الطوائف الهندية ، ويعطى النبوذيين من الحقوق السياسية مثل ما لآى هندى آخر . فكان يظهر فى كل

الأزهر والاصلاح

الأستاذ محمود الشرقاوى

وإني كتبت في السياسة والسياسة الأسبوعية منذ عشرين من السنين ، وأن الأزهر وإصلاحه كانا شغل وشاغلي منذ أجريت قلبي على قرطاس ، وإني دأبت عليه وكان وكدي في « الرسالة » أول ما ظهرت الرسالة إلى هذا الوقت القريب سوى « البلاغ » ثمانى سنين دأباً .

هؤلاء الكثيرون يملون ذلك وقد يملون غيره ، ولكنهم سيقولون لماذا كتب هذا وماذا يريد وماذا يقصد ؟

ولكن هذا التساؤل وهذا التأويل وهذه الظنون حسنة أو سيئة ، طيبة أم خبيثة ، لن نحول بيني وبين أن أكتب ما أريد ، ولن تمنعني أن أقول ما يجيش به نفسي عن الأزهر وإصلاحه . والذي أريد أن أقوله إن الأزهر لم يصلح ، وأن بينه وبين الإصلاح شأراً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً ، ولست أدري هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟

وأنا حين أزعج أن الأزهر لم يصلح لا أريد أن أتوجه بهذه التهمة إلى أحد ولا إلى عهد ، فالواقع أن الأزهر قد التوت به وبأهله سبيل الإصلاح وبعدت بهم عن أهدافه ومراميه ؛ والواقع الذي هو

سيقول كثير من إخواننا الأزهريين حين يقرأون هذا الذي أكتب عن الأزهر والإصلاح : لماذا وله ؟

سيقول كثير من هؤلاء لماذا كتب هذا ومن يريد بكذا وماذا يقصد بكذا ؟ لأنهم لا يد - في اعتقادهم - أن يكون لكل شيء ظاهر وباطن ، ولا بد أن يكون وراء كل عمل أو قول أمر مستور يُسأل عنه بماذا وله .

فهم يقولون في علومهم ودروسهم لماذا وله وماذا يراد بكذا وهذه محمدة ، وهم يقولون عند ما يرون لأحد راباً أو سمياً لماذا وله وماذا يراد بكذا ، وهذه مذمة .

وأعلم أن كثيرين منهم سيقولون لماذا أو له ، وهم يملون أن هذا الذي أكتب اليوم قد بدأته قبل أن أبدأ سن العشرين .

وإذا حاولنا أن نتكلم عن كل صيام صامه غاندى ، استعرضنا مختلف مشاكل الهند الحديثة سواء أكانت اجتماعية أو سياسية أو طائفية أو دينية ، لأن غاندى لم يترك مشكلة لم يمرض حلها ، فإذا ما أحس أن هناك مشكلة ستحل بطريقة تتعارض مع مصلحة الهند والهند فإنه يتفادى مقدماً نتائجها الوخيمة ، ويمتنع الصوم حتى تحل هذه المشكلة حل يقع نفعه على الهند ، أو إذا ما تصادم المسلمون والمهندسون أو اندأبت نيران الثورة الطائفية ، وهاجت النفوس ، أكثر واشتدت المجازر فإن صيامه يبعث الدرع في قلوب ملايين الهند مما يبعثه وابل من القنابل ، فيضع حداً للمذابح ، ويسكن النفوس الهائجة ، ويستحيل بفضل الحق إلى حب . وذلك كله يؤكد زعمنا بأن غاندى أخرج التعاليم الدينية من عالم المبادئ إلى عالم الحياة الواقعة ، وأعطى الصوم الدين حقيقته عملية ، وجعل له وظيفة نافعة في الحياة الاجتماعية والسياسية ، واتخذ منه سلاحاً يقوم به أخلاق الناس ، ويهدى من هياجهم ، ويمحو الحقد والبغضاء من قلوبهم .

عبد العزيز محمد الزكي

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

مكان يؤاكله النبوذيين أو يعانقهم ، حتى يشجعهم غيره من الهندوكيين على أن يتشبهوا به ويحسبوا ميامتهم . إلا أنه لم يقدر أن يقضى نهائياً على اضطهادهم للنبوذيين . ولكن حين قبلت الهند سنة ١٩٣٥ الشروع الإنجليزي الذي ينص على خضوع البلاد لحكم نيابى مؤلف من مجلسين أحدهما تشريعى والآخر للقضايا ، تكون الحكومة مسئولة أمامهما ، ثم بدى في توزيع المناطق الانتخابية لتأليف هذين المجلسين النيابيين ، طالب النبوذون بمناطق انتخابية منفصلة . فأبدهم الإنجليز في هذا الطلب ؛ إلا أن غاندى رفضه مصرحاً بأن إعطاءهم مثل هذه المناطق بمقد مشكلة النبوذيين ويجعل حلها عسيراً ، ويقضى ببقائهم على ما هم عليه من ذل وهوان ، وهذا فضلاً عن أنه يزيد الشقاق بين الطوائف الهندية ، ويقوى الخلافات الدينية التي تشكو منها الهند ، وأعلن الصوم حتى المات . وما كاد يمضى سبعة أيام على صيامه حتى انتهى الخلاف بتسوية تسلم بانتخاب النبوذيين في مناطق الهندوكيين ، على أن يكون لهم عدد معين من المقاعد في المجالس الإقليمية التشريعية .

أعجب من هذا كله أن الحديث عن الإصلاح في الأزهر حديث لا يصفى إليه أحد ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد . وليس هذا شيئاً جديداً بل هو شيء يمتد إلى سنين مضت غير قليلة ، وقد جرى بيني وبين الرحوم الشيخ الراجحي حديث في هذا منذ سنين لم أراجع إليه في « الرسالة » في يوم قريب أو بعيد ، ويوم أعود إلى هذا الحديث سيعلم من لم يكن يعلم أن إصلاح الأزهر لم يشتغل به أحد ولم يفكر فيه أحد . اللهم إلا المتفائلين والمتفائلين^(١) والخياليين الذين يمشون بين الأمانى والأحلام ، وقد عشنا بها زمناً رغباً ، ثم ذهب عن أعيننا النشأوة .

مضى إن تكن حقاً تكن أعذب النى

وإلا فقد عشنا بها زمناً رغباً كان المساحون يرغبون أن يكون الأزهر قواماً على نهضة دينية أسامها الفهم والإدراك وسمة الأفق حتى يقاوم بها ما يتفاحس العالم كله من إباحية وإلحاد وتهجم على فكرة الدين وعلى مجرد الإيمان ، وكانوا يرغبون أن توجد في الأزهر هذه البيئة الدينية المؤمنة المدركة لا يقع فيه العالم كله اليوم من أزمة روحية يحسها كل رجل مستنير ويدرك خطرها على القيم الروحية وعلى الأديان كافة ، فإن توجد في الأزهر هذه البيئة الدينية المدركة فسينهض منها لا محالة من يحول بين هذه المواقف الماصفة بالإيمان وبالقيم الروحية أن تنزع من صدور الناس وأن تذهب هذه المواقف بما بقي في هذه الصدور من إيمان .

وكانوا يرغبون أن توجد في الأزهر بيئة علمية مدركة مستنيرة تخرج للناس هذا التراث العلمي الإسلامى الفريد ، فتجولوه لعميوسهم وأفهامهم ، وتبرز هذا الركاز العظيم المطمور من علوم العرب والمسلمين في كل فن وعلم ، هؤلاء يدرسون هذا التراث بعقولهم المدركة المستنيرة ، فيظهرون الناس على ما فيه من عمق ومن سعة ومن دقة ومن شمول ، هؤلاء يبرزون هذا الركاز المطمور بما ينشرون ويخرجون من كتب ومن مذاهب وآراء ومن

(١) كان الصديق الأستاذ الزيات في يوم من الأيام متفائلاً أيضاً أنظر مقال « هل انبث الأزهر ؟ » في صدر العدد ٤٠٨ من الرسالة و ٢٨ أبريل سنة ١٩٤١ .

شروح وفهارس ومن تهويب .
وكانوا يرغبون في أن يخرج الأزهر للناس طائفة من العلماء مثيرة عقولهم شجاعة أفئدتهم « يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس ، ويملكون - كما يقول الأستاذ الزيات - تزييف « الأباطيل القدسة » التي انسمت بسمة الحق وتسمت باسم الدين »^(١)

وكانوا يرغبون في أن يخرج الأزهر للناس طائفة من رجاله يكونون للناس مثلاً في كرم الخلق والحرص على أداء الواجب والزهد في زخرف الحياة وما يطعم الناس فيه من مجد ومن مال ومن سدارة .

طائفة من الناس شعارهم المحبة والتسامح والمودة وكرم النفس والترفع عن الصغيرة والشجاعة في الحق وعفة القلب واليد واللسان ، يحملون خير الناس مقدماً على خير أنفسهم ، والعمل للناس قبل العمل لذواتهم وأشخاصهم وأطعاهم .
طائفة من الناس تقوم حياتها على الإيتار والتضحية ، والنصيحة بالعمل قبل القول وبالمثل والقدوة قبل الدعوة والتمثيل طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جودها وتخلفها وجهالة العوام فيها وتواكاهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شؤون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم ، ويعملون على خلاص هذه الأمة الإسلامية مما هي فيه من جود ومن جهالة ومن أنانية وجحود . هذا هو الإصلاح للأزهر وهذه سبيله .

فهل أنا مخطئ ؟ إذ أقول إن الأزهر لم يصلح ؟ ..
وهل أنا متشائم إذ أقول متسائلاً إن بين الأزهر وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسماً ومرحلة طويلة جداً ، وإنى لست أدري هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟ ..

أما الخطأ فأعتقد أنى لست مخطئاً ، ولا أعتقد أن أحداً يرى غير ما أرى وهو منصف مدرك .
وأما التشاؤم والتفاؤل فليس عندي عليهما جواب ، وقد نجيب عنى الحوادث والأيام .

محمد السرفاوى

معركة صبيان

الأستاذ نجاتي صدق

قال حسن ، وهو أجبر بقال : إنني أرتأى أن نرش الطريق
بالبامير ...

فهذا منه محبة قائلين إن عجالات هذه السيارات من المطاط
المسكوب لا النفوخ .

فقال سليم ، وهو صبي ميكانيكي : إنني أرتأى أن نسد
الطريق بالحجارة ، وحين يخرج القوم من سياراتهم لازالة ما نعصمه
من عوائق أمطرناهم بوابل من الحجارة ...
فاستدخف الأولاد رأيهم قائلين سيتولى الجند إزالة الحجارة
ويذهب بجهودنا سدى ...

فقال شكري ، وهو تلميذ في الصف الثاني الابتدائي : إنني
أرتأى أن نغتنم فرصة مرور السيارات من هذه الناحية ونقفز
عليها ونثيرها ضبطة تاتي الملح في قلوب السائقين ، فيضطرب
حبل وازنهم ، ويصدم بعضهم بعضاً ...

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين : وماذا يحل بنا في
هذا الصدام ونحن ممتطون ظهور هذه السيارات ؟ ...

فقال عبد ، وهو أجبر قران : إنني أرتأى أن نضع قشاً في
طريق السيارات ومتى اقتربت منها أضرمنا فيها النيران ...
وسأتولى إحضار القش من القرن أثناء غياب معلمي ...
فقال له المجتمعون : كلامك هذا غير موزون ، أنظن أن هذه
السيارات هي أرغفة خبز وأنها ستنتظرك حتى تشمل فيها النيران ؟
ثم ما هي كليات القش التي ستحضرها من القرن ؟ ...

فقال موسى ، وهو ابن أحد الجنود العرب الذين اشتركوا في
الحرب المالية الثانية : إنني أرتأى يا أولاد أن تقذف السيارات
بالزجاجات المحرقة ...

فدهش الصبية وقالوا بصوت واحد : وما هي هذه الزجاجات ؟
قال : أنا أصنعها .

قالوا : وكيف تصنعها ؟ ...

قال : أحضر زجاجات (كازوزة) فارغة ، وأملأها بنزيناً .
ثم أغرق سدادة كل زجاجة وأضع فيها فتيلاً يمتد إلى البنزين ...
واشعل الفتيل واقذف الزجاجات على الهدف ، فتتكسر ويلتهب
البنزين ...

كانت الواصالات بين أحياء القدس العربية واليهودية منقطعة
إنقطاعاً تاماً ... وإذا ما تخطت سيارة من سيارات الطرفين
الحدود فمعنى ذلك أنها موفدة : « مهمة » لا عودة لها بعد أن يتم
لها إنجازها .

إلا أن هناك نوعاً من سيارات الشحن اليهودية كان يحق
لها أن تخترق أحياء القدس العربية على شكل قوافل أربع مررات
في اليوم ، هي سيارات (البوتاس) .

والسيارات هذه تابعة لشركة البوتاس التي تقع معاملها على
ضفة الأردن الغربية ، في بلدة (كاليه) اليهودية الصناعية ، وهي
تستخرج ملح البوتاس من رواسب البحر الميت ، ثم تعبئه
في أكياس وترسله إلى القدس في سيارات شحن ضخمة ، حيث
تتولى وكالة لها تصدير هذه المادة الكيميائية الهامة إلى خارج فلسطين
ففي بدء الحوادث كانت سيارات البوتاس تسير بحماية عدد
من البوليس ... ثم جملت مقدمة كل سيارة مصفحة بالفولاذ
لا يظهر منها سوى ثلاث كوات ، إحداها أمام السائق اليهودي ،
واثنان عن يمينه وعن يساره ... ثم صارت مصفحات الجيش
ترافق هذه السيارات ... ثم أخذ فريق من الجند بكامل معداته
يصحبها في طريقها المتقد من أريحا إلى وادي موسى ، إلى قرية
المازنية ، إلى باب الأسباط في القدس فحلة وادي الجوز ، فباب
الساخرة ، فالشيخ جراح ، فالأحياء اليهودية .

وكانت هذه السيارات تتعرض في كل سفرة إلى استقبال حار
من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لأن الرصاص كان يستكين في
الأكياس ، أو يتدحرج على أضلاع المصفحات حافي الرأس
منكسر الخطاير ...

وذاث يوم عقد جماعة من صبيان وادي الجوز وباب الساخرة
اجتماعاً سرياً في حديقة المتحف الفلسطيني بالقدس ، وكان
موضوعه رسم خطة للاشتباك مع سيارات البوتاس في معركة ...

من ومي الصوم :

هيام المتصوفين

للشيخ محمد رجب البيومي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

من من الناس غير المتصوفين يلوذون بالمقابر الموحشة في الغياهب الخالصة ، وكأنهم يخفون إلى رياض موقنة بداعيها عاطر النسيم ؟

إقرأوا ما سطره البهلول في سكون الأجداث ، وتعالوا ، مي تتساءل كيف أوحى إليه من الممانى الممتازة ما توحىه الجنان الضاحكة لشاعر مطبوع ؟ ! أليس هذا من المعجيب ؟

وما تقولون في الأحلام الساحرة التي يشاهدها القوم في تلك الأماك الباكية ؟ وهل علمتم أن منهم من رأى في منامه قبوراً تنشق وتخرج منها طيور بمنحة عملاً الأفق ، ثم يسقط نور علوى من السماء فيلبس الأجداث حلاً بيضاء ، ويهب نسيم عاطر

فأعجب الصبية بهذه الفكرة الجبارة وأثروها ، ثم وزعوا فيها بينهم إحضار المواد اللازمة . فأجير البقال تبرع بالزجاجات الفارغة ، وأجير الميكانيكي تبرع بالبنزين ، وغيرهم تبرع بالفتيل والكبريت .

ورسمت الخطة ... وهي أن يفتشر الصبية على سور المتحف الفلسطيني ، وعند ما تمر سيارات البوتاس بهذا السور يصرخ موسى : « عليهم » ! . فيقذفون الزجاجات دفعة واحدة ، وينتجى الأسر .

وهكذا كان ... إذ بينما كانت تسير السيارات في حولتها بالقرب من سور المتحف الفلسطيني قذفها الصبية زجاجات البنزين ، فسقط بعضها في الطريق واشتعل ، وسقط غيرها على جوانب السيارات والتهب ... وسقط غيرها على أسطحه غرف السواقين واحترق .

ولما رأى من في داخل السيارات أن النار تشتعل هنا وهناك

فينتشر الأموات !!

خيال غريب ، وتزداد غرابته حين نعلم أنه استمد أصوله من الأشلاء المتناثرة ، والظلام الدامس ، والحجارة الصماء !

أضف إلى ما تقدم كله ، ما عرف عن القوم من السهر الطويل وعاربتهم النوم بشتى الوسائل ، ولعلمهم يجدون في سكون الليل سلماً إلى التحليق في أجوائهم العالية ، فقد شاع لديهم أن أعمال المؤمن تنبذ وتتلشى إذا عرفها الناس ، أما الأعمال المستترة فهي الباقية الدائمة ، ومن ثم لا ذوا بالظلام وتسربلوا ثيابهم السوداء ، فنشطوا للعبادة نشاطاً يبطون عليه !! وتفرغوا للركوع والقيام فإذا نشر الفجر أجنحته تحمروا كثيراً لرؤية الضياء !!

أى سلاح كانوا يستعينون به في مصارعة هذه الأهوال ؟ لا شيء غير الصبر الجليل ؛ فقد وطفوا أنفسهم على تحمل كل مكروه ؛ وهم يرحبون بالأذى في الله ترحيباً يفوق كل ترحيب ؛ ولهم في ذلك روائع مدهشات . قال ذو النون المصري : دخلت على مريض أعوده فسمته بئن فقلت له : ليس يصادق في حبه من لم يصبر على ضربه . فصاح من أعماقه : لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه ! وهذا رد مسكت بليغ وقد صدقت بدون ومي

قفزوا منها ظانين أنهم وقعوا في شرك ضارب ... وفي هذه اللحظة تقدمت بعض مصفحات الجيش لإتقاذ الموقف ، وضرب المشاة طوقاً حول مكان الحادث ، وراح غيرهم يبحث عن المهاجرين في حديقة المتحف الفلسطيني فوجدوهم مستلقين في نواويس رومانية قديمة . . .

واكتفى الضابط باعتقال موسى ، فوضعه في مصفحة وسار به مع القافلة متجهاً نحو الأحياء اليهودية ، وكان كلما مر به على جمع من اليهود أمره بأن يطل عليهم من الكوة ... ثم يأخذ أذنه بين أصبعيه ويفر كها قاتلاً : إذا عدت إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال قبضت عليك ثانية وأزلائك في هذه الأحياء . . . ثم أعاده إلى أهله .

وفي صباح اليوم التالي رأى الصبية مجتمعين في مكان ما في القدس ، وقد أفرقوا رؤوسهم في جريدة صباحية يفتشون فيها عن أبناء معركتهم . . .

نجماني صرقي

وأنا أطالعه في مصارع المشاق .

وشبيه بذلك ما حكاه علي بن سعيد المطار قال : مررت بكثيف مجذوم وفوقه زنبور يقع عليه فيقطع لحمه . فحمدت الله أن ما فاني مما ابتلاه ، فصاح في وجهي : « ما دخولك فيما بيني وبين الله ؟ فوعظته لو قمتني إرباً ، وصب عليّ العذاب صباً ، ما ازددت له إلا حبا » . فإرايكم في هذا الرد الآخر ؟ إن سحائف المتصوفين انزوحم ازدحاماً بأمثال هذه الروائع . وهي عبر تخلق من الشكلى الصارخة حجراً صليلاً لا ينسب بنت شفة وإن فارقتها أعز الأبناء . إن العارفين بالله يرون الأذى الجسمي امتحاناً سماوياً ، ولا تصدق محبتهم إلا إذا قابلوه مقلبة طيبة ووقع من نفوسهم أطيب موقع وأرضاء ، وقد يبدو لبعضهم أن يمتحن أصحابه بالإيذاء كما يمتحن الولي عبيده بالأوصاب ، فقد زار أبا بكر الشبلي جماعة من أحبائه وهو مريض بالمارستان ، فسألهم عن محبتهم ، فقالوا إنا محبوك يا أبا بكر ، فرمهم بحجر كاث في يده ، فلاذوا بالفرار وصاح بهم الشبلي : يا كذابين ، لو صدقتم في محبتكم ما هربتم وكأني به وقد رأي في ربه أعظم مثال للاقتداء !!

ولنا أن نقسال : أكان المتصوفون يشعرون شعوراً تاماً بشدة ما يكابدونه من أنواع الإيذاء ؟ أم أن فيهم من وصل إحساسه إلى درجة يهون معها التعذيب كما تنطق بذلك بعض الروايات ؟ أرجو أن يكون القارىء واسع الصدر فلا يتمجج بتكذيب ما نعرضه بين يديه ، فلن نرسل الكلام إرسالاً بدون تحليل وتلليل ، وإن كنا نتكلم في خوارق بعيدة ، فنعمل بالمقول — يادى ذى بدء — ما تفعله الزلازل في قن الجبال .

فهل صحيح ما روى عن أحد الأقطاب أنه كان يسير على الماء وحوله الموج المتلاطم يترأكب بعضه فوق بعض ، وكأنه يسير في طريق محمد يدرج عليه الناس !!

وهل صحيح أن الشبلي كان ينتف اللحم من وجهه بمنقار حاد ، فإذا سئل من ذلك قال : ظهرت الحقيقة ولست أطيعها فأنا أدخل على نفسى الألم لأحس به ولكن هيهات هيهات !!

وهل صحيح أن أبا الحسن النورى سمع منشداً يقول :
ما زلت أنزل من وداك منزلاً تنحير الأفهام دون نزوله

فتواجد وهام في الصحراء ثم وقع في أجرة نصب قد قطع وبقيت أصوله كظبا السيوف ، فكان يمشى عليها ويميد البيت إلى الغداة والدم يسيل من قدميه ، ولا يشمر بشيء من العذاب !
إن في كتب التصوف أقاصيص عديدة من هذا الطراز ؟
فهل نحكم عليها بالوضع والاختلاق !!

سنجد كثيراً من الناس يلوون ألسنتهم ويقولون في تهكم بالغ : خرافات كاذبة ، ما كان لكتاب أن يسطرها في صحيفة الرسالة القراء !!

ونحن — في الرد على ذلك — لا نستشهد بما سطره المتقدمون في بطون الأسفار ، ولكننا ننقل إلى القرن العشرين لئلا يمجيد فيه من خوارق العادات .

أقد نقلت مجلة الهلال بمددها الصادر في أغسطس سنة ١٩٤٧ عن مجلة « أنير » الفرنسية ، حوادث مدهشة تفوق ما قدمناه ؛ وقد اعترف بها كثير من أساطين العلم الحديث ، ولم يعدموا لها التليل الملى ولو أنها سطرت في كتب المتصوفين لقوبلت بكثير من الاستخفاف . ولا نحب أن نطيل على القارىء ، ولكن نضع أمامه هاتين الحادتين — مما ذكرته الصحيفة الفرنسية — وله أن يقول فيهما ما يشاء .

١ — كان « ريشادسون » الفرنسى يضع الحجر في فمه ويمضغه فلا يصاب بأذى ، وقد وضع على لسانه حجراً فوقه قطعة لحم ثم قدمها ناضجة بعد دقائق إلى من شاهدوه من العلماء !

٢ — قام الهندى « كودابوكس » بتجربة رائدة في إنجلترا أمام رهب من رجال العلم والصحافة أثبت فيها قوته الخارقة على مقاومة الاحتراق بالنار ، فقد حفروا حفرة طولها أربعة أمتار وعرضها متر ونصف وقد ملئت بالخشب والحطب ، واضرمت فيها النار حتى ارتفع لهيبها ، وجعل الهندى يمشى في ذلك الأنون الملهب ذهاباً وجيشة من أول الحفرة إلى آخرها ، وغضت قدماء بعد ذلك فلم يظهر بهما أثر من آثار النار !

فإراي القراء في هذه الخوارق ؟ وإذا صحت على يد أناس لا يتصلون بالسما ، فكيف تفكر أشباهها على الأولياء !

إن الإنسان المادى قد يوجه تفكيره إلى ناحية هامة نستولى

هل أنا كم نبأ أبي سعيد أبي الخير؟ لقد كان صريده يتضاربون بالصفوف حرصاً على ماء وضوئه ، والسعيد من حصل على قطرة واحدة يُغنى بها جهته . ويذكرون أن قطعة صغيرة من قشر البطيخ قد سقطت منه ، فتهالك عليها الناس واشتراها أحدهم بمشرين ديناراً . فهل يلزم هذه المنزلة في النفوس أمير أو وزير !! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولقد ظهر انكسباب العامة على المارفين في حلقات السماع ، حيث كان لكل متصوف مجالس إنشاد تقام في أوقات معينة ، فما يحين ميمادها حتى تتدافع عليه الناس من كل حذب وصوب ، وطبيبي أن يكون النشد ويسمى (بالقوال) حسن الصوت ، لطيف الذوق ، فيختار من الأبيات الرقيقة ما تطرب له المشاعر وتهيج به القلوب ، حتى كان بعضهم يصيح من وجده ، وأحياناً تأخذه النشوة ، فيهم على وجهه في الآفاق كأنما نشط من عقال . إن للسوت الجليل أثره البالغ في الاحساس ، فما ظنك إذا اقترن بمعنى سماوي رائع ، ثم سمعه صب ذواق يدرك ما يهدف إليه عالم الإدراك ؟ أليس من القليل عليه أن يترشح ذات اليقين وذات الشمال كمن دارت برأسه المقار .

وقد يرق شعور المتصوف فيسمو إلى مالا تحيط به عين ، وإذا ذاك يقف في مكانه لا ينطق بشيء . وليس ذلك في مجلس السماع لغضب ، بل في كل موقف تهطل فيه سحائب الرحمة ، فقد وقف أبو بكر الشبلي على عرفات مدة طويلة فلم تتحرك شفاته بشيء ، وللحجاج حوله ضجيج وعجيج ، فهل يكون هؤلاء أكثر رغبة منه إلى الله ؟ أم أنه شاهد ما خفى عن غيره فمقد الموقف لسانه ، ورجع إلى مقره شارد العقل متفقد الصلوع .

إن كثيراً من المتصوفين يتخيلون أنفسهم تخلق في عالم آخر وتشاهد أضواء متألقة لا تتاح لأحد . وقد سئل بعضهم في ذلك فقال : والله لو غاب عني لحظة لتقطعت « وهم يحزمون أن المارف الصادق بصبر عن كل شيء عدا رؤية مولاه . وقد وقف رجل على الشبلي رحمه الله فقال له أي الصبر أشد على الصابرين ؟ فقال الصبر لله ! فقال الرجل : لا . فقال الشبلي : الصبر مع الله ، فقال الرجل : لا ، فغضب أبو بكر وقال : وبحك فأى شيء إذن ؟ فقال الرجل : بل الصبر عن الله عز وجل . فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف

على إدراكه فلا يشمر بشيء سوى ما يفكر فيه . وقد قرأت في الصحف ذات يوم ، أن النار قد شبت في حجرة ريفية وكان بها طفل صغير ، فافتحمت أمه النار ، وأتقتت ولدها ثم خرجت إلى الناس واللهب يحرق قدميه وهي لا تشعر به حتى نهبا الحاضرون فليت شمري هل يحس بالأم جسدي من يرى بعيني أنوار السماء سهما مزق جسده الرصاص ١٩

أفيثوا إلى قلوبكم أيها القوم فإن الحق يتسرب إليها بدون استئذان ؟

لماذا نسير في طريق معوج ولا نلجأ إلى الصراط المستقيم ؟ ألسنا نعرف أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإذا قال هذا الكتاب ؟ !

لقد ذكر أن امرأة العزيز جمعت صواحبها وأعدت لمن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينة ، وقالت (ليوسف) أخرج عليهن ؛ فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . فهل نخترى في ذلك بعض امتراء . لقد أبدع الياقني رحمه الله حيث قال في التعليق على هذه الآية الكريمة « وهذا في محبة مخلوق فكيف في محبة الخالق ، ولا ينكر ذلك إلا من لم يذقه » وأنا أقول زيادة على ما تقدم ، إن عدم الإحساس بتقطع الأيدي كان تعلقة لاسرة العزيز وهي حينذاك مدعية كاذبة ، فكيف ننكر نظائره على البررة من الأولياء ، أما معجزة يوسف فعلى تأويل الرؤيا بدون نزاع .

إذن فقد آن لنا أن نتعرف بما قدمناه عن المتصوفين فنجزم أن الشبلي لا يحس بتقطع لحمه ، وأن النور لا يشمر بتقاطر دمه ؛ ونصدق قول الجنيد رحمه الله « كنت أسمع السرى يقول : قد يبلغ بالمبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . وكان في قلبي من ذلك شيء حتى بان لي أن الأمر كما قال » .

والواقع أن هذه الخوارق المعجبية هي التي جذبت الخاصة والعامة إلى هؤلاء المتصوفين فكانوا أقوى سلطاناً من الملوك ، وكان المارف يتمتع بجبل نازح فتخف إليه الوفود تلو الوفود ، وقد يقول الرجل كلمة فترفع الحامل وتسقط النابه ، بل إن أمراء المؤمنين كانوا لا يستنكفون من الخضوع لآعليه الزهاد ، وأخشى أن أعرج على شيء من ذلك ، فأخوض في حديث معاد !

فما معنى هذه الأسطورة؟ وهل يحرم من الحور في الجنة من يتصل
اتصالاً شرعياً بالنساء؟ هذا جائز جداً في منطق البهلاء .

إن القلب لا يتسع لأكثر من واحد ، فلا على الصوفي إذا
فتح بحجة ربه ، ولكن ما ذنب العامة من الدهماء ؟

إن لأقوم شطحات وشطحات ، ولا حيلة لهم فيما يشطون به
من الآراء ، فقد نفرد الله وحده بالكمال . ومن ذا الذي ترضى
جميع سجاياه ؟

وبعد فقد حاولت أن أروح عن نفسي بكتابة هذا البحث ،
فقد حجب إلى أن أقوم بجولة خاطفة في ميدان التصوف النظري
فأطالع الأسفار ، واستنطق السطور ، بعد أن أخفقت في ميدان
التصوف العملي ، فقد أعددت العدة ، وسرت خطوة واحدة ، ثم
وقفت كالقيد المكبول ، فلا أستطيع أن أتقدم ، ويمز على أن
أرجع حيث بدأت وأنا في الاضطراب والحيرة كأسير أم عمرو
الذي قال فيه أحد كبار الهائمين .

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها نحل الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول في القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيطلق

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومي

مصلحة الجمارك المصرية

تعلن مصلحة الجمارك عن وجود
وظيفة مهندس مبانى خالية بها ويشترط
في الطالب أن يكون حائزاً لباكوريوس
كلية الهندسة أو ما يعادلها وسيمنح
المرشح للدرجة التى تنفق مع مؤهلاته .
وتقدم الطلبات برسم حفرة صاحب العزة
مدير عام الجمارك بالاسكندرية وفيما يختص
بالموظفين بمصالح أميرية تقدم الطلبات عن
طريق المصالح التابعين لها .

٩٧٨٠

روحه ، وكأنه رأى صاحبه قد سبقه في الطريق فغنى نفسه أحر
تمنيف وأقسام !!

وكثير منهم من يذرف الدموع الغزار حين يحظر بباله أنه
غير أهل لمحبة ربه . كيف وقد وقر في نفوسهم أن ما على الأرض
من حيوان ونبات وجماد يسابقهم مسابقة شديدة في الافتتان
بخالقه ، فهم يتنافسون فيما بينهم منافسة حادة تضطرم فيها
الأحشاء . ولهم في هذا السدد نوادر غريبة ، فقد حكى سهل
ابن عبد الله أنه قابل دبا في فلاة فجادته وناقشه ! ! وعلم منه أنه
— مع فريق من الوحش — هائم في ذكر ربه ! ! فما منشأ هذه
النادرة ؟ وهل استنبطها سهل من قول الله « وإن من شيء
إلا يسبح بحمده » وما موقعه بعد ذلك بين يدي نفسه حين يرى
أنه بالنسبة إلى غيره ليس في المير أو النفير ! مسكين مسكين ! !
وإذا غرق العارف في لجج الصبوة لم يجد في قلبه فراغاً يسع
شيئاً آخر غير ما هو في سبيله ، ولذلك كان الصوفيون رهباناً
لا يتزوجون ولا يتنعمون ، مع أنهم ينضوون تحت لواء الإسلام ! !
هل سمعتم تحذير مالك بن دينار من الزواج ؟ وهل فكركم
في علة ذلك ؟ لأنه يرى اللذة الجسدية سبة تكره لا يميل إليها غير
الدهماء ، أم ترى ماذا يكون .

إن القوم مكبلون بما ورد في الكتاب والسنة من الترفيه
في الزواج قبأى سلاح دافعوا عن مبدئهم الغريب ؟
لا يستطيع السامع أن يظفر منهم في هذا الموضوع بغير
الأساطير ، وللأساطير في نفوس العامة قمل السحر ، فهي تقوم
مقام الآيات والأحاديث ، إن لم تفقها عندهم في بعض الأحيان ،
وفي الآدميين من سلبوا العقل الناصح فهاموا كاللدواب ! !
وأقرأ هذه (الخرافة) أمام عاى ساذج فستجده ينجذب
إليها أتم انجذاب ، وربما ندم على ما فرط في جنب الله حين أقدم
على الزواج .

« قال بعضهم كنت في زاوية بمصر نخطر بقلبي أن أتزوج ،
وقوى عزمي على ذلك . فخرج من القبة نور لم أر مثله ، وإذا بيد
فيها نمل من ياقوتة حمراء ، ونسرا كها من زمرد أخضر مرصع
بالؤلؤ ، ثم سمعت هاتفاً يقول : هذه نملها ، فكيف لو رأيتها !
فذهبت عن شهوة النساء »

في آفاق حافظ إبراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للاستاذ حسين مهدي الغنام

(بنية مانس في العدد السابق)

—•••••—

ومن أمثلة سخريته المستترة ما كان ينفسه وبين شوقي .
فقد وقف شوقي بين حافظ وبين الفهر كالمريض الضخم ،
لا يستطيع حافظ أن ينفذ منه إلى صاحب الفهر حتى يستطيع
أن يصيب بعض ما أصاب شوقي ، ولكن شوقياً لم يترك له
جوالاً ينفذ منه .

فقد حاول حافظ أن يتملق شوقياً ، بل قد غامقه غملاً ، فقال
في بعض شعره بمدح الخديوي :

لم أخش من أحد في الشعر يسبقني إلا فتى ماله في السبق إلاء
وفي قصيدة ثانية :

إلى سدة العباس وجهت مدحتي بهنئة (شوقية) النسيج معطار
بومنها :

معان والفاظ كما شاء أحمد طوت جزل بشار ورقة مهيأ
وبمل أحمد بك أمين في مقدمته لديوان حافظ هذا البيت
بقوله : الظاهر أنه يريد التنبئ بهذا البيت .

ولكنني أراه يقصد شوقياً ، كما قال فيما تقدم . والسخرية
في هذه الأبيات واضحة .

ومن سخريته بشوقي قوله بمدح الخديوي في قصيدة أخرى :
واليوم أنشدم شعراً بعيد لهم عهد النواصي أو أيام حسان
أزف فيه إلى العباس غانية عفيفة الخدر من آيات عدنان
من الأوانس حلاها يراع فتى صافي القرينة صاح غير نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيده ولا استعان بمدح الراج والبان
ولكنهما تصافيا وتصادقا بعد ...

والأمثلة على هذا كثيرة لا تكاد تحصى .

٤ - شاعر إنساني

من الأمثال المعجبية الدارجة في الطبقات المصرية البسيطة
قولهم : فلان هذا رجل إنسان !
فتسأل : كيف ؟
فيقال : إنك لا تسأله شيئاً ويرفضه مطلقاً . ثم هو دائم
الاهتمام بغيره وبمن هم أقل منه !

وهذا الوصف الصادق السائر بين الطبقات المصرية البسيطة
ينطبق على حافظ إبراهيم في جلته ، وإن ابتسم البعض لهذا
الوصف الرفيع ...

حافظ إبراهيم كان رجلاً (إنساناً) بكل معاني هذه الكلمة
ولم تقتصر (إنسانيته) أو عطفه على من هم أقل منه فقط ،
بل شملت من هم أكبر منه ، وشملت الأمم والشعوب المنكوبة جميعاً
وليس إنسانية حافظ في أنه كان دائم الإحسان على غيره ،
حتى ليجود بكل ما معه لعدم أو فقير ، ولو بقى جائعاً هو نفسه
وإنما إنسانيته في المعطف على العالم المنكوب ، حتى لتراء
— مثلاً — يواسي أمة ويمطف عليها ويستدر عطف الغير على
هذه الأمة في نكبة ألمت بها ، ولكنه يعود في اليوم الثاني
فيعمل عليها حملة شعواء لأنها جارت على أمة غيرها أضعف منها ،
كما ستري في قصائده عن إيطاليا بعد .

ومن المعروف أن حافظاً ذاق البؤس واليأس والجوع
والحرمان والتشرد ، فهذا مشهور في سيرته .

ولقد قال أحياناً في هذا المعنى في إحدى قصائده في حفة
رعاية الأطفال :

لم أقف موقفي لأنشد شعراً صب في قالب بديع النظام
إنما قت فيه والنفس نشوى من كؤوس الموم والقلب داي
ذقت طعم الأسى وكابدت عيشاً درن شربى فذاه شرب الحمام
فتقلبت في الشقاء زماناً وتنقلت في الخطوب الجسم
ومنى المم ثاقباً في فؤادي ومنى الحزن ناخرأ في مقلبي
فلهذا وقتت أستعطف الناس على اليائسين في كل عام
ولم تكن إنسانيته من نوع إنسانية أبي العلاء الممرى
الذي يقول :

تسرح كفك برغونا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجاً

قضيت حياة ملؤها البر والتقى فانت بأجر المتقين جدير
وسموك فيهم فيلسوفاً وأمسكوا وما أنت إلا عمن ومجير
وما أنت إلا زاهد صاح سيحة برن سداها ساعة وبطير

حياة الوري حرب وانت تريدها سلاماً وأسباب الكفاج كثير
أبت سنة العمران إلا تنافراً وكدها ولو أن البقاء يسير
تحاول دفع الشر والشر واقع وتطلب محض الخير وهو عسير

الم تر أني قت قبلك داعياً إلى الزهد لا بأوى إلى ظهير
أطاعوا (أبيقورا) و (سقراط) قبله

وخولفت خيما أرنتي وأشير
ومت وما مات مطامع طامع عليها ولا أتى القياد ضمير

أفاض كلانا في النصيحة جاهداً ومات كلانا والقلوب مسخور
هذه هي دعوته للحق وتحكيم الضمير والعمل للخير المطلق ،
بين الناس والأمم جميعاً ، لا فرق بين دين ودين ، كما قال في
حرب طرابلس ، مخاطباً البابا :

بارك المطران في أعمالهم فصلوه بارك القوم على ما
أبهذا جاء إنجيلهمو آمراً بلى على الأرض سلاماً
ثم أسمعهم يقول في زلزال مسينا ، بمد أن وصف نكبة
الطليان ، واستدر عليهم عطف العالم جميعاً .

وسلام على امرئ جاد بالدمع وثني بالأصفر الزنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
فاكتبوا في سماء رجيرو وسين وكالبريا بكل لسان
هاهنا مصرع الصناعة والصوير والحذق والحجا والأغاني
إنه يستعطف بني الإنسان من كل لون وجنس ولسان ،
وإن كان يقول إن هذا ليس إحساناً ، لأنه حق الإنسان عند
أخيه الإنسان ، وكأنما يثار حافظ للضعيف هنا ، ويتنصر
المظلوم ، حين تار الزلزال والبحر فأهلك مسينا وأهلها .

ولكنه في قصيدته عن حرب طرابلس ، يحمل على الطليان
حجة عنيفة شعوواء ويسخر منهم سخراً مرأ ، ويستمدى عليهم
العالم ، فما سبب ذلك ؟

فإنسانية أبي الملاء هنا إنسانية متطرفة ، هي أقرب إلى
السخرية والتهمك منها إلى الإنسانية ، فإنه هنا لا يفرق بين
الطيب والخبيث ، والنافع والضار ، وحسبه أن يعطفك على
الأضعف منك ، رديماً كان أم جميلاً !

ولست هذه بالإنسانية العليا ...

أما إنسانية حافظ إبراهيم فإنسانية عليا .

إنه يعطفك على الموز والمحساج ، ويعطفك على المنكوب
والكلوم ، سوء كان ضعيفاً أم قوياً ، ولكنه إن يعطفك على
الظالم والخبيث .

على أن هذا لا يعني أن أبا الملاء لم يكن شاعراً إنسانياً عالياً
في نواحيه الأخرى ، فأبو الملاء كان ولا شك شاعراً إنسانياً
عالي الإنسانية مرهفها ، وهو الذي لم يتزوج حتى لا يجنى على
أبنائه ، ثم قال : هذا جناء أبي علي ، وما جئيت على أحد .

ويلتقي حافظ إبراهيم وأبا الملاء في هذه الناحية ، وإن كان
تزوج لأيام لا تمدو الأربعين ، ثم انفصل عن زوجته ، ولكنه
يقول :

وددت لو طرخوا بي يوم جثهمو

في مسبح الحوت أو في مسرح المطب
لعل (ماني) لاقى ما أكابده فود تمجليتنا من عالم الشجب
حافظ إذن يلتقي مع أبي الملاء في ناحية ويخالفه في أخرى .
قال حافظ في إحدى قصائده في جمعية رعاية الأطفال :

قد مات والدها ومات أمها ومضى الخمام بعمها والخال
وإلى هنا حبس الحياء لسانها وجرى البكاء بدسها المطال
فعلت ما تخفى الفتاة وإنما يحنو على أمثالها أمثال
فهو يحس أن له رسالة إنسانية كبرى ، تحنو على الفقير
والضعيف والمريض .

ويقول في رثائه تولستوى :

ولست أبالي حين أبكيك للورى حوتك جنان أم حواك سمير
فإني أحب النابئين املمهم وأعشق روض الفكر وهونضير
دهوت إلى عيسى فضجت كنائس

وهز لها عرش وماد سرير

سببه إنسانيته أيضاً ، وانتصاره للضعيف المغلوب .
ومن هذا أيضاً شعره الرثائي ، فشعر الرثاء في ذاته من أعلى
ضروب الشعر الإنساني !

وغير هذا كثير . وهذه أعلى مراحل الإنسانية .

٥ - شعر حافظ

من الأقوال الماثورة عن الأسلوب قول سانت بيف ، على
ما أذكر ، ما معناه : إن الأسلوب يعبر عن صاحبه .
أي إنه يعبر عن روحه .

واقدر امتاز شعر حافظ بأنه يعبر عن شخصيته ، أي روحه ،
تعبيراً قوياً ...

والمعروف عن حافظ أنه كان شديد المرح في حياته الخاصة ،
مع أن شعره وأدبه ، في مجموعه ، كان شعراً وأدباً رزينين جادين
فكيف نوفق إذن بين ذلك الرأي وهذه الحقيقة ؟

وهل كان حافظ ذا شخصيتين مزدوجتين كما قال أحد الكتاب
كلا ...

فإن نفسه الحزينة — التي عرفت الحياة جيداً — سخرت
منها سخرية هائلة فأصبحت كما قال المتنبي تنكسر نصالها على نصاله
والنكتة التي اشتهر بها حافظ كانت ستراً لآلامه وأحزانه
وإمعاناً في السخرية من الحياة .

ولهذا برز حافظ في ناحيتين من شعره :

الوطنية والرثاء

ويطل حافظ نفسه هذا بقوله ، عن شعره الرثائي ، في
قصيدة نحية الشام :

إني ملأت وقوفي كل آونة أبكى وانظم أحزاننا بأحزان
إذا تصفحت ديواني لتقرأني وجدت شعراً الرائي نصف ديواني

وهناك ناحية فنية نحب أن نقرر أن حافظاً كان من أوائل
السباقيين إلى طردها والتجلية فيها .

تلك هي الناحية القصصية في شعره .

وإذا كان حافظ لم يسرد قصصاً في شعره بالمعنى القصصي
النهوم ، إلا أنه نظم قصائد اجتماعية وطنية نحا فيها نحو القصة

بلغ بها الغاية مما أراد ...

وإذا لم تكن القصيدة التي سماها المنظومة التمثيلية في ضرب
الأسطول الطلياني لمدينة بيروت — قصة بالمعنى المألوف ، إلا أن
له قصائد فيها قصص ساحر بليغ ، مثل قصائده في رعاية الأطفال
وحرب اليابان ، ومراثيه !

ويجمل بنا هنا أن نقف قليلاً نناقش رأى أحمد بك أمين
في شاعرية حافظ ، في مقدمته لديوانه :

« وقد سلم أشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة ،
وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقى . وأعوزه أمر منها وهو
قوة الخيال .

« فأما عاطفته فتقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إنارة
نفس السامع والقارئ ، فما يسمع شعره سامع ، ولا يقرؤه قارئ .
إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة
والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا أسعد
وأقوى الخ ...

« وأما خياله فكان مع الأسف — خيلاً قريباً — قلل
حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن
أن يفوس في باطن الشيء فيوصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرج به
إلى الناس كما يشمر به ، وقصر عن أن يخلق في السماء فيصور
منظراً عاماً يجذب النفوس إليه »

ثم ضرب مثلاً قصيدته في مدح البارودي وقصته في ضرب
الأسطول الطلياني لمدينة بيروت .

إن حكم الأستاذ أحمد أمين على عاطفة حافظ وحسن صياغته
وجمال موسيقاه حكم صحيح :

ولكن حكمه على خيال حافظ ، حكم مرئجل يحتاج إلى (تنقيص)
وهو أشبه بالرأي الفطير ، لا يقبل صدوره من رجل كالأستاذ
أحمد أمين :

لقد قلنا من قصيدته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت
أنها ليست في مستوى شعر حافظ ، مع أن لها ما يبررها ، ولكن
لا يصح أن نأخذها مقياساً لشعره وسندا نحكم بمقتضاه لحافظ
أو عليه .

وإذا كان أحمد بك يقصد من الخيال القصة بمنهاها الصحيح

فليست كل القصص خيالا ، وإن كان حافظ نحا نحواً قصصياً في بعض قصائده كما قدمنا .

ورب بيت واحد من الشعر فيه من الخيال أروع قصة ! فإذا تركنا هذه (القرينة) التي اتخذها أحمد بك أمين سنداً لإدانة شاعرية حافظ بالقصور والضحولة ، وفتحنا ديوانه لنقرأ أي قصيدة فيه ، راعنا منه خطرات موهلة في الخيال البعيد ، ولناخذ مثلاً باب (الوصف) من ديوانه ، كما قسمه أحمد بك أمين نفسه .

فاقرأ له وصف كساء ، حيث قال مرتجلاً :

لي كساء أنعم به من كساء أنا فيه أتبه مثل الكسائي
حاكه المر من خيوط المعالي وسقاء النعيم ماء المصفا
وقصائده في الشمس ، والسيف ، والدفع ، وليلة عيد
الجلوس ، وزوال مسينا ، إذ قال :

خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت قضى الأمر كله في نواني
واقراً قوله :

إذا سرت يوماً حذر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك بنشاه
أو حتى قوله المفحش في الهجاء ، والذي لم يثبت أحمد بك في
ديوان حافظ :

أخس من دب على ظهرها ودبت الناس على ظهره !
بل افتح ديوانه واقراً ما يقع عليه نظرك وتمعن فيه ، سواء
كان سياسياً أم اجتماعياً أم رثاء أم في أي غرض آخر ...

فلعل الخيال الذي يقصده أحمد بك أمين إذن هو التفتي بجمال
الطبيعة . أو الغزل ، وهما الضربان من ضروب الشعر اللذان
تخلف فيهما حافظ ، لأنه منصرفاً إلى ناحيتين أساسيتين في شعره ،
هما شعره السياسي ، وشعره الإنساني النزعة .

على أن التفتي بجمال الطبيعة في حد ذاته ليس خيالاً كله !
وناحية أخرى في شعر حافظ .

تلك هي براعته في اختيار اللفظ ، وفي تحديد المعنى الذي
يريد ، وفي التصوير .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك قوله إلى روزفلت ، التي لم نذكر
في ديوانه أيضاً :

إنما شوقها لقولك يا روزفلت شوق الأسير للتحرير فما هي
أعلى مراحل الشوق عامة ؟

إن أملاها هي بلوغ المشتاق ما يريد .

ولقد حدد حافظ مراحل الشوق وأهدافه في هذا الموضع —

بكل هذه البساطة ، فهو شوق الأسير للتحرير ، والمصريون
يشاقون لسباع قول روزفلت حتى يدافع عن حرية هذا الشعب ،
الذي شبهه بالشعب الأمريكي ، أيام احتلال الإنجليز له !
وهذا أبلف ما يمكن أن يقال في مثل هذا الموضع .

ومثل قوله عن الإنجليز وسعد :

النمر بطمع أن يصيد بأرضنا سنزبه كيف يصيده زغلول

٦ — حافظ الطائب :

عرف حافظ كاتباً أيضاً ، وقد انعم نثره بالبلاغة والمحسنات

اللفظية والبديع ، ولكن نثره لم يكن في مستوى شعره .

ولقد ترجم بعضاً من البؤساء لـكتور هيجو ، عنى فيه
بالأسلوب ، فتكاف ، ولكنه أحدث بهذا الكتاب أثراً محموداً
في الصحف وفي الترجمة على الأخص ، أذوجه إليها أنظار الكتاب
الذين يعرفون لغات أجنبية .

وألف كتاب ليالي سطيج ، وهو أحسن كتبه النثرية ،

وقد عنى فيه بالأسلوب أيضاً ، ولكنه حمل فيه حملة اجتماعية

وفكرية ووطنية ، لعلها أحدثت بعض الأثر المطلوب في إبانها !

وله كتاب في الاقتصاد السياسي ، بالاشتراك مع آخر .

وكتاب في الأخلاق .

وإذا كان نثر حافظ ، كما تقدم ، في مستوى أقل من شعره

إلا أن فيه ما يجب أن يسان كثرات لشاعر عظيم فقدناه ،

وكاتب مجاهد يجب أن تخلد جميع آثاره ، فتبقى أثراً حياً بيننا ،

وإن كان مثله لا يمكن أن ينسى ، فسكناً مرعاً أحست مصر

وشقيقتها العربية مرارة فقد ، بحاجتها الملحة إليه ، فهو كما قال

حافظ نفسه في صديقه شهيد :

مضيت ونحن أحوج ما نكون إليك فقل خطبك لا يهون

هذه بحالة من آفاق شاعرنا حافظ إبراهيم .

وسندود إليه في مناسبات أخرى ، لنوفيه حقه من الدراسات

محمدين مهدي الفناصم

عتاب شاعر

طارقت بابك يا صاحب الرسالة حتى كنت كفاى ، وقدمت
بين يديك نخبة من أشعارى ، فكان نصيبها الإهمال ؛ وما زال
يعاودنى حنين إلى طرق بابك من جديد ، ولكن اليأس أخذ طى
كل سبيل . وبين ثورة الحنين وهدأة اليأس ، أخذ لساني يتمم
بهذه الأبيات :

ما يبانى ؟ لقد نكرت يبانى وعمرانى من أمره ما عراني
قال لي صاحبي : ييلانك فجر يسط النور في العوى والمغانى
كم نهبت الأسرار من عالم الغيب ب. وصورتها كدى للعيان
فلسفى الخطرات محتمم القاب ب نزوع إلى شمس المغانى
ولك العالم الرحيب ينجيب لك ودنيا الهوى ودنيا الأمانى
إن تمش حائل الرواء كثيبا ناكس الرأس دائم الأحزان
فلن تيسم الحياة وتبدى عبقرى من وشيا الفتان
إنها غادة تهرج للناس من لتحظى باللاحظ من فتان
انفض النوم من جناحك وأنفض

وازم الطير في ذرى الأفنان
أنت شباية الحياة على الأر ض فهدد شعابها بالأغانى
قلت : دعنى فقد نكرت يبانى وعمرانى من أمره ما عراني
طاش مهمى لى (الرسالة) بالأمس وأضحى قريبها غير دان
كان حلما فبادرته الآيالى كاشرات فأت في المنفوان
وهو صرح من الأمانى بنينا . قويا بالروح والوجدان
أرعت سفحه الرياح اللواتى زلزلتنى وطوحت بجفائى
في خضم الظنون والزبد الطا فى نهاوت بزورقى موجتان
موجة اليأس ترنمى فى مداها موجة الشك فى سمو يبانى
أين يا قائد الشباب إلى المجى سد طريقى وأين منه مكاني
أين يا باعث الطموح من الشر ق جناحى فقد ملئت هوانى
جئت أشكو إليك نفسك فاسم نى فانا يا ظالمى أخوان
أنت أيقظت بالروائع إحسا سى ففاض المستور من أشجانى
رضت بالفرن مهجتي فتسامت عن قيود الدنى وسجن الزمان
فاغترفت الرحيق من حانة النف س طروبيا وصحت بالندمان

موعدى منكم (الرسالة) ياقو م فبشرى بالرى والإيمان
واستبقت الصباح أحمل أحلا مى جيمكا وفرحتى ودنانى
جئت للرهف الشمور بأشما رى ووجدى الموقط الوجدان
ثم كان الذى علمت من الأمر وكان القضاء بالحرمان
هل أرقى الدنان يا مسكر الشر ق بآى نورية التبيان ؟
وأذبت الأحلام والفرحة الكبرى دموعا موصولة التهان
هل من المدل أن تداس أناشيدى وتلق فى عالم النسيان ؟
وهي من نورك الفاضل نجوم - وهى زهر من روضك الفينان
لا أراى دون اللذين أقاموا دولة الشعر من بنى عدنان
سل إذا شئت من أردت من الناس وسائل مخائف السودان
والجوع التى تخف إلى صو نى وسائل منابر المهرجان
يشهد النيل ذو النظارة والمجد ورب الوثبات والإحسان
والحزار الذى يرف بواديه ويشدو فى شطه النمان
عندما ترقد السكينة فى الموج ونسرى الأحلام فى الكتبان
ينكر الفن والحياة أيا الفن وحسبى أن تستخف بشانى
أين ابن الحنان واحسرانه من نبى الإحساس والوجدان ؟

محمد محمد على السورالى

الطالب بكلية دار العلوم

و (الرسالة) تمسب الشاعر المجيد ، وترجو أن تغفر منه
بمثل هذا القصيد .

الفاروق فى أرض السلام

(فاروق) مجدت الجهاد بآية هزت فؤاد الشرق من إعجاب
زرت المجاهد فى عرين جهاده فشجذت من هزماته وحرا به
أبرات أوجاع الجريح فلم يمد بشكو بما قد ناء من أوصابه
وجعلت تسأل عن شهيد قد قدى أرض السلام بروحه وشبابه
فى كل حصن آية أبدية من صنع جيشك خطاهما بحرا به
ما أوقف ألفولاذ أبطال الحمى هم نسل (فرعون) ومن أصلابه

البوزبائى جمال الدين محمد

المدرس بالمدرسة الحربية الملكية

الفكر والفن في كربوع

الطريقان في الأدب :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم في العدد الأخير من أخبار اليوم ، مقالا بعنوان « الجاحظ والكاريكاتور » قال فيه إنه كان يقرأ في كتاب « التبريع والتدوير » للجاحظ ، فحبل إليه أنه يصنع فناً طريقاً في زمانه دون أن يدري ، وأنى بوصف الجاحظ لرجل يعرفه جسم فيه عيوبه نجسها « كاريكاتوريا » بالنثر ، وأنى يبيتين لابن الرومي من هذا اللون الكاريكاتوري ، ثم قال : « وهكذا زاول العرب فن الكاريكاتور شعراً ونثراً . . . حيث لم تتج لهم الظروف أن يزاولوه رسماً ونقشاً . . . كل شيء خطر على بال عبقرتهم . وإنهم ليمضون دائماً ما يقوّنهم في جانب الإبداع في جانب آخر . . . قانون التمويض الطبيعي كان رائدهم الخلق في حضارتهم . . . حضارة كاملة شاملة أبي الغرب الظالم المجحف أن يظفر إليها بعين التقدير والتوقير » .

ويذكر قراءة الرسالة ما كتبه عن محاضرة الأستاذ كامل كيلاني « الكاريكاتور في الأدب العربي » التي ألقاها بدار الاتحاد النسائي منذ شهر ، ثم محاضراته « الكاريكاتور في شعر ابن الرومي » التي ألقاها بعد ذلك في كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية . وأذكر أنه ألقى إلى عقب المحاضرة الأولى بقوله : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يميّون الأدب العربي بالغالاة ، وهذا هو نوع من الغالاة نراه مطابقاً في التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

فن الإنصاف وتسجيل الحقائق أن يذكر سبق الأستاذ كامل كيلاني في هذا المجال .

أسمائنا والنمو :

حضرت يوم الخميس الماضي مناقشة رسالة بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، قدمها طالب من قسم اللغة العربية بالكلية

للمحصل على درجة « الماجستير » .

ومن طريف المآخذ التي وجهت إلى الرسالة ، أن الأستاذ مصطفى السقا أحد أعضاء لجنة المناقشة طلب من مقدم الرسالة أن يعرب تركيباً ورد فيها أوله « إن الأستاذ أمين الخولي ... » ويقصد الأستاذ كلمة « أمين » يريد بها منصوبة منونة مرسومة بالآلف ...

ويذكرني هذا بإعترض وجهه معقب لغوى منذ سنين بحرودة الأهرام إلى المرحوم الشيخ حسين والي ، لأنه كتب مقالا وقعه باسمه هكذا « حسين والي » وكان عليه — كما رأى المعقب اللغوي — أن يكتب « وال » دون ياء .

ولو تنبه مقدم الرسالة إلى اسم الأستاذ مصطفى السقا لاعترض عليه — جزاء وفاقا — لقصر الممدود فيه وهو « السقاء » من غير ضرورة .

تصور أننا نعتبنا كل اسمائنا المصرية بمثل ذلك ، وخاصة نخلوها من كلمة « ابن » ما عدا « عبد الرحيم بن محمود » ا تصور فقط ...

السجل الثقافي :

يعلم قراء الرسالة أن وزارة المعارف أنشأت في العام الماضي إدارة التسجيل الثقافي لإخراج سجل ثقافي سنوي يحوى مظاهر النشاط الثقافي في عام .

والادارة الآن تعمل في إعداد أول عدد من السجل ، وهو الخاص بسنة ١٩٤٨ الحالية ، وقد أمنت قسماً منه يشتمل على بيان النشاط الثقافي من أول السنة إلى آخر يونيو الماضي ، وتتخذ الإجراءات الآن لطبع هذا القسم ، على أن يكون في ضمن السجل العام الذي يصدر في أوائل سنة ١٩٤٩ عن سنة ١٩٤٨ كلها .

ويحتوى القسم المنجز على إحصاء للكتب المؤلفة والمترجمة في مصر سنة ١٩٤٧ ، وبيانات وافية للتأليف والترجمة والصحافة ودور النشر والهيئات الثقافية والمحاضرات العامة وأحاديث الإذاعة والمؤتمرات والمسرح والسينما ، وغير ذلك من الشؤون الثقافية ، عن الفترة الماضية من السنة الحاضرة .

ويؤخذ من تلك البيانات أنه قد صدر بمصر في خمسة الشهور

العربية نصارع :

لاحظ أعضاء لجنة تقدير درجات اللغة العربية في امتحان الشهادة الابتدائية بالدقهلية ، أن ظروف أوراق الإجابة التي ترد إليهم من لجنة مراقبة الامتحان تستخدم في بياناتها الحروف والأرقام الإنجليزية لتمييز المجموعات ، كما أن الترقيم على أوراق لإجابة بهذه اللغة أيضاً ، وكذلك ترقيم بطاقات التلاميذ . وقد كتبوا بذلك إلى مراقب منطقة التعليم منبهين إلى أن هذا غير لائق وإلى وجوب تداركه في المستقبل .

والواقع أن هذا التصرف عجيب ، فهو مخالف للرموز التي تقضى باستعمال اللغة العربية ، وهو مخالف للسكرامة القومية ، وأنا أريد أن أسأل هؤلاء الذين تجرى أيديهم بالحروف والأرقام الإنجليزية دون العربية على الظروف والأوراق والبطاقات : هل يمكن أن يكتب إنجليز على أوراق امتحاناتهم بالعربية ؟ والجواب لا قطعاً لأنهم يحترمون أنفسهم ويشعرون بذاتيتهم .

يظهر أننا لسنا محتاجين إلى الجلاء عن الأراضي فحسب ، بل نحن في حاجة أيضاً إلى الجلاء عن بعض العقول !

ذكرى حافظ :

تقع في هذا الأسبوع ذكرى شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فقد نفي في الواحد والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ ، فهذه الذكرى هي السادسة عشرة - وقد جرينا على عدم الاهتمام بذكرى شعرائنا وأدبائنا ، ومن هم به منهم لا نحتفي بذكراهم الاحتفاء اللائق . ولم يبد إلى الآن ما يدل على الاهتمام بذكرى حافظ ؛ وقد كانت حملة الإذاعة تحيي ذكراهم بأن « ينفرد » أحد مذييعيها ببعض أسماءه ... ولكنها في هذا العام نسيت نسياناً تاماً .

حافظ وسوفي :

وقد أخرج - في هذه المناسبة - الأستاذ حسن كامل الصيرفي كتابه « حافظ وشوقي » الذي درس فيه الشاعرين دراسة مقارنة فصل فيها القول في النواحي التي اشتركا فيها أو تباينت صورة المشاركة ، فتحدث عن ديباجة الشاعرين ، وثقافتها ، وشعرها السيامي ، والطبيعة في شعرها ، والمرأة وأثرها في كل منهما ؛

الماضية ٢١٧ كتاباً مؤلفاً منها ٥٠ في الأدب ، و ٤١ كتاباً مترجماً منها ١٩ في الأدب . ورقم الأدب في كل من التأليف والترجمة أكبر الأرقام .

بين قهصيرتين :

أشرت فيما مضى إلى قصيدة الأستاذ علي الجارم بك التي قالها أخيراً في « فلسطين » وألقاها بالذباغ . وقد تناورت أحاديث المجالس هذه القصيدة مشيرة إلى قصيدة شوقي المروفة بالاندلسية والتي مطلعها :

يا ناصح الطلح أشباه عوادينا ناصي لواديك أم ناصي لوادينا وذلك لتحاد القصيدتين في الوزن والقافية ، وفيها هو أكثر من الوزن والقافية ، ومن ذلك قول الجارم :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لست جباهنا تربها إلا مصلينا فقد قال شوقي في أندلسيته :

لفتية لا تنال الأرض أدمهم ولا مفارقهم إلا مصلينا

الجامعة والمؤسسة :

صدر أخيراً قرار بتغيير اسم الجامعة الشعبية إلى « مؤسسة الثقافة الشعبية » ووجهت إدارتها العامة إلى مناطق التعليم المختلفة والمعاهد الثقافية الإقليمية كتاباً أشارت فيه إلى ضرورة مراعاة ذكر الاسم الجديد في المكتبات الرسمية بدلاً من « الجامعة الشعبية » وأنا لم أفهم حكمة هذا التغيير ، ولم أستسغ الاسم الجديد . لقد كان الاسم الأول عذبا مغنيا ، فقد كان الطالب يقول إنه ذاهب أو آيب من الجامعة وهو معز مسرور بالفرصة التي أتاحت له لإشباع رغبته فيما يميل إليه من أنواع الثقافة .

أما الآن فهو ذاهب إلى المؤسسة وعائد من المؤسسة وحدث كذا في المؤسسة اسم ثقيل ولا معنى له ، لأن الشيء المؤسس هو الذي جعل له أساس وهو أصل البناء ، فكيف تصح هذه التسمية ؟ وعلى أي « أساس » تقوم ؟

وما عيب الاسم الأول وقد كان حسن اللفظ والدلالة ؟ يبدو أنهم ضنوا على « الشعبين » أن يشركوا « الجامعيين » في الاسم . أو لم تكن تكفي الصفة للتفريق ؟

واحد ، كما يمرض في نفس الوقت بيمض المدن الأخرى ، وذلك لتتسنى مشاهدته لأكبر عدد ممكن من المصريين في القطر كله .
من طرف المجالس :

حضر المجلس جزار بالقاهرة معروف بعيله إلى غشيان مجالس الأدب والفن ، وجرت مناقشة أدبية أفجم نفسه فيها ، فقال له أحد الأصحاب :

— مالك وللأدب ... أما بكفيك اللحم والكبد والطحال ؟ فأجابه على الفور :

— ألا تعلم أن هذه هي الماعقات ؟

تعريف الفلاسفة :

عرف الفلاسفة كاتب ساخر بقوله :

الفلاسفة هي البحث ليلاً عن قط في حجرة مظلمة ولا قط في الحجرة .

العباس

وزارة الأوقاف

إعلان

تشهر الوزارة عملية إزالة عدد ٢٢ عاموداً وتوريد تركيب خلافاً من الجرانيت المصري المصقول المستخرج من محاجر أسوان قطعة واحدة بالحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة بالأقطار الحجازية

وتقبل المعاملات بقسم المخازن والمشتريات لغاية ظهر يوم ١٦ / ٨ / ١٩٤٨
تعلن الحصول على مستندات العملية من خزانة الوزارة نظائير مبلغ ٥١٠ مليم ر . جنية

والمدة اللازمة لانتهاء العمل هي اثني

٢٠٩

عشر شهراً

وصدى الحوادث عند الشاعرين ، كحادثة دنشواي ، ووداع كرومر ، و وفاة مصطفى كامل ؛ وأثر التاريخ المصري القديم والتاريخ الإسلامي في شمر كل منهما ، وما إلى ذلك من الموضوعات التي طرقتها الشاعران .

ألم يميز العلوم التاريخية :

تلقت وزارة المعارف من رئيس مكتب البعثات المصرية بلندن ، نص الكتاب الذي أرسله إليه رئيس لجنة المراجع في أكاديمية العلوم التاريخية ، وفيما يلي ترجمة هذا الكتاب :

في الجلسة الأخيرة للجنة المراجع التي عقدت بباريس تحت إشراف اليونيسكو ، اتجهت الرغبة إلى أن تحوى نشراتنا قائمة موجزة أو بياناً مفصلاً للمخطوطات العربية الموضوعات في تاريخ العلوم . .

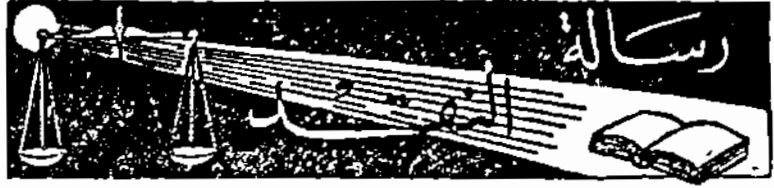
وقد طلب إلى أن أكتب إليكم لأسال عما إذا كانت حكومتكم ستوفد أحد الباحثين ليعوم بهذا العمل . وينبغي أن تعلموا أن قائمة المخطوطات الموضوعات في تاريخ العلوم باللغة اللاتينية واليونانية في بريطانيا العظمى وأيرلندا ، والتي كتبت قبل سنة ١٥٠٠ ، توجد الآن في المتحف البريطاني تحت أيدى الطلاب ، كما توجد أشرطة سينمائية لهذه القائمة في معهد واربورج والبني الامبراطوري بلندن ومكتبة الكونغرس بواشنطن .

وليس من شك في أنه لو استطاعت حكومتكم أن تتعاون في هذا العمل الآخذ الآن في الانتشار بالبلاد الأوربية الأخرى فإن المراجع العربية الموجودة في مكتبكم سوف تضم إلى الكثير من الكتب التي لا تعرف الآن إلا في اللغة اللاتينية .

فلم فلسطين :

أنهت باللائمة في الأسبوع الماضي على السينمائيين المصريين ، لأننا لم نشاهد إلى الآن بأحدى دور السينما مشاهد المجد العربي في فلسطين على الشاشة البيضاء ويسرنى أن أذكر اليوم أن استديو مصر يعمل الآن في إعداد فلم كبير تعرض فيه مناظر الحرب الفلسطينية ، وكان قد أوفد بعض الفنانين إلى ميدان القتال لتسجيل هذه المناظر . وستكون حفلة العرض الأولى في سينما استديو مصر يوم ٢٧ يوليو الحالي . وقد رأت وزارة الشؤون الاجتماعية ألا يقصر عرضه الأول على هذه الدار ، فتقرر عرضه في ست دور للسينما بالقاهرة في وقت

أقول إننا نعانى نخمة في الشعر وأزمة في الشعور ... إن نظرة واحدة إلى ما تخرجه الطبع من دواوين الشعر في هذه الأيام ، تنتهي بك إلى الإيمان بهذا الحكم ؛ الإيمان به كحقيقة ملموسة ، ونظرة فيها التدقيق والتمعن تسلك



أين المفر

تأليف الأستاذ محمود حسن إسماعيل

بقلم الأستاذ أنور المعداوي

إلى حقيقة أخرى هي أنك لو رحت تبحث وسط هذه النخمة الشعرية عن آثار أدبية ترضى الفن حين تحفل بصدق الشعور ، لما وجدت غير ثلاثة دواوين هي « أين المفر » لمحمود حسن إسماعيل و « طفولة نهر » لثزار قباني و « الشروق » لحسن كامل الصيرفي ؛ ونظرة فيها التأمل والنفاذ تقنمك بأن أزمة الشعور عند الكثرة الغالبة من شعرائنا مرجعها إلى أن التجربة النفسية قد تمر بهم فكأنما تمر بفراغ موحش لاتاقى فيه إلا مجموعة حواس ممطلة ، لا تستجيب لأحداث النفس والحياة .

أترك هذا لأسجل ظاهرة تلفت الحس الفني عند قارئ هذا الديوان ، أقصد القارئ التدقيق لا القارئ المجلان ... وهي ظاهرة تتركز في الحركة النفسية التي تشيع في الكثير الثاقب من قصائده ؛ هذه الحركة النفسية هي « المرصد » الذي يتلقى « الهزات » الشعرية من هنا وهناك ثم « يسجلها » في بيت من الشعر أو أبيات ... هذه الهزات متفرقة ثم متجمعة تنصهر في بوتقة الوجدان النابض لتضع بين يدي الناقد نموذجاً كاملاً للشاعر الإنساني ...

محمود حسن إسماعيل في « أين المفر » مثال صادق لهذا الشاعر ، ولست أجدر في وصف فنه خيراً من تلك الكلمات التي قلناها من قبل عن الفن الإنساني ، وهو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور ، وأن يكون الشعور مرآة تلتقي على صفحتها النفس الإنسانية في صورتها الخالدة بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التي تتمثل في ذلك التجاوب الروحي بين الفن وصاحبه ، وبين الفن ومتذوقه ، وبين الفن والإنسانية بكل ما فيها من اختلاف الصور والألوان .

الشاعر الإنساني هنا يقف من وراء هذه الأبيات ، وإن شئت فقل من وراء هذه الأنات ... في « أغاني الرق » :
أقيني بين شباك المذاب وقلت لي غن

شاعر ... كلمة أقولها بكل ما يحويه مدلولها من معان يدخل فيها الطبع ، والوهبة ، وسمة الأفق ، وقدرة الجناحين على التحليق ؛ أقولها أنا عن صاحب هذا الديوان حين يطلقها غيري على كل ناظم ، وكل ناكت ، وكل مصنوع .
قرأت له أكثر ما قال من شعر إن لم يكن كل ما قال ، وفي هذه الفترة الطويلة بين إنتاجه الأول وإنتاجه الأخير لم يتغير رأيي فيه . لقد ظل على مستواه من الشعرية التي صقلها الطبع وشحذها التأمل ، وغذاها الخيال . ونحن حين نقرر هذا كله ، نقرره بميزان الوعي الفني ؛ الوعي الذي تعينه مقاييس الذوق والفن على تحديد الأوضاع والقيم .

ولابد من وقفة قصيرة عند تلك الكلمة التي قدم بها الشاعر لديوانه ، وعرض فيها للشعر العربي الحديث في شتى فنونه وألوانه وكيف تمددت هذه الفنون والألوان على أيدي أصحابها من الناضجين والشعراء .

وكيف تباينت مصائرهما تبعاً لما ينال المادان الشعرية من زيف في الفن أو أمالة ؛ وقفة قصيرة لأقول للشاعر إنني كنت أود ألا تظهر تلك الكلمة كقدمة لديوانه ، حتى لا يتهمه النقاد بأنه ، ما كتبها إلا تركية لشعره وانتصافاً لنفسه ... على الأستاذ محمود حسن إسماعيل أن يقدم لنا شعره لنحكم له أو عليه ، ولا يحق له بعد ذلك أن يقيم الميزان لنفسه ولغيره في الوقت الذي يقدم فيه إلى النقاد عملاً من أعماله الفنية !

هذه لفظة أسجلها قبل أن أمضي في عرض شعره ، وقبل أن

ووقفت أحفر للجراح طريقها ... فتمسود شدوا !
ونقلة أخرى تقف بنا عند ظاهرة أخرى لا تقل عن الأولى
استثنائاً بأهتمام الناقد ولا إثارة للسكينة الناقدة ، ونمضي بها ظاهرة
الرمزية في شعر الأستاذ محمود حسن إسماعيل ... هذه الرمزية هي
التي تدفع بعض الناس إلى وصف شعره بغموض العبارة حيناً
وجوهر الخيال حيناً آخر ؛ والحقيقة التي نقررها أنه لا غموض
هناك ولا جوح ، وإنما هو عجز المجالي عن التحقيق في أفق
الشاعر ، وقصور إحساسهم عن التجاوب والجو النفساني الذي
عاش فيه ، ذلك لأن الرمزية هنا تأتي مطبوعة لا مصنوعة ،
وأصيلة لا مقصودة ... الرمزية الطبعوية هي أن يعبر الفنان عن
طريق المعنويات ، أما الرمزية المصنوعة فهي التعبير عن الماديات
بما وراء المعنويات ، وفي هذا اللون الأخير من الرمزية يكون
السخر والدجل والتضليل !

الرمزية في شعر هذا الشاعر تصدر عن منبهين أصليين :
التأمل العميق المنعكس من الحياة على النفس وهو ما يعبر عنه
بـ « الاستبطان النفسي » ، وهذا هو النوع الأول . أما النوع
الثاني فهو « الفيض الشعوري » النبعث من قوة الشخصية
الشعرية أو راحة الحقل الشعري ؛ ومن هنا تطفئ التهورات
الروحانية التي تصبغ الشعر بصبغة الرمزية الأصلية لا الرمزية
المشككة ، تلك التي لا تهدف إلا إلى الغموض والإيهام ! استمع
له يقول في « العزلة » :

صلت بها عيدان لا تعرف الأديان
واستغفرت أغصان لكن بلا ذنب
نخيلها حراف وتبعها ظلمات
وصمتها ولهاث شوقاً إلى النيب
تفجرت أنهار فيها من الأسرار
يجري بها إعصار في عالي الرحب
وهذه أنفاس في صمتها الوسواس
تدق كالأجراس في مهبس القلب
وهذه حيات تسمى من الساعات
كأنما الأوقات غاب نغمها قربى
هنا لون من الرمزية لا يمجرك فهم صراميه حين تلقاه بشيء

وكل ما يشجى حين الرباب ضيعته مـ
وهذا جناحي صارخ لا يحاب في ظلمة السجن
ونشوق صارت بقايا مراب في حانة الجن
أواء يا فني

للم أعش كالناس فوق التراب !

جملت زادي من عويل الرياح وغربة الطير
ومن أسى الليل ووجد الصباح وشهقة النهر
وسقتني ظمآن بين البطاح إلا من السحر
وقلت لي دفر بهذا الجناح واشرب من السر
والسرفي صدري

قيدت ساقيه بتلك الجراح !

هذه كلمات شاعر ينظر إلى الحياة من خلال « عدسة »
فكرية مكبرة ، تكشف الطريق إلى كل خفي من شهاب
النفس ، وكل تمريرة في منطف الشعور هي كلمات فنان وإن
شئت قل كلمات إنسان ؛ واستمع مرة أخرى لخفقة من خفقات
القلب الإنساني ، في لحظة من تلك اللحظات التي تمر لكل
نفس ألهبتها سياط العذاب ، وألهمتها فلسفة الحرمان ... هناك
في « مقابر السحر » :

وهنا بالنفس ما يهتسو بنفس في يد الإعصار يعول
ثم قالت كيف عن دمي ومنك الدمع يا حيران نسال ؟
إن أكن فيك سكنت الجحيم والجحيم تراب يتنقل
فأنا طير بعرش الله لي عش ، وبستان ، وجدول
إنما أبكي لهذا التفصص الداجي الكثيب المتمل
لم يجد أي عزاء في وجودي ... كيف يفتدو حين أرحل ؟!
ولما طال الحير بشاعر الإنسانية ، آمنت دموعه وكفر
جفنه ، ومن التقاء الكفر بالإيمان انبثت الهتاف المتنازع ، وانطلقت
الوفرة المحرقة ، في طريقهما إلى الله .. هناك في « التراب الحائر »
رباه ! ما أنا ؟ ... هل وجدت على زمان الناس سهواً !
سويتني روحاً تمرد ، لا يطيق الأرض مثوى
وأنا التراب ! فكيف صرت هوى وتعذيباً وشجواً !
شرقات فيبك لا يتعن لغير من يبكي دنوا
وأنا إليك ذرفت أبهى فزاد دمي عتوا

هي فجوات قليلة ولكنها تبرز سالك الطريق على كل حال ؛
يجدها في غلبة اللغات الذهنية حين نأخذ الومضات الروحية ..
هناك في « اللحن المتهور » :

ليقني كنت رباحا تهتف الآباد منها
أنا أهواها ولكن رغم أنني لم أكنها

أنظر إلى هذا التعبير الفكري في قوله « رغم أنني » ...
لا تشعر هنا بشئ من المبهوط في الإحساس بالجو الشمري ؟
إن هذا التعبير في رأي يصلح لقالة من المقالات لا لبيت
من الأبيات

واستمع له مرة أخرى حين يقول في « أفاني الرق » :
يا سارق القوت نزع الحجاب عن هذه اللقمة
ما كنت أدري فتكها بالرقاب أو أنها لقمة
والجوع إن صاح يصيح الخراب وتصفق الأمة
ألا توافقني على أن أفني الخيال في البيتين الأول والثاني أفني
شاعر ، وأنه في البيت الثالث أفني ناثراً ؟ ...

وأن القالب الشمري في قوله : « وتصفق الأمة » تصبغه
صبغة الخطب النبوية أكثر مما تصبغه صبغة التهويلات الروحية ؟
واستمع له مرة ثالثة حين يهتف في « الرداء الأبيض » :
عشت فيك الحزن والسواد وسمرة الخدين والحدادا
وجد ولا تحت الدجى تنادي يا ساق الحب أغث لي وجدى
وهنا أيضاً يصدمك هذا التعبير « أغث لي وجدى » ...
إنه هتاف ينبعث من قريحة اعتراها الممود بمد وهج التوقد
وحراة الانفعال

وتأمل في هذه الصورة الوصفية لوقدة القيث ولوح الهجير :
والسنة بيض لحن رطانة بمثل لغايا كاهن لم يتمم
كأن عقارب الظهيرة طنبوا خياماً على هذا البساط المخرم
إن الصورة هنا تبلغ القمة وتصل إلى مدى الأبداع ، ولكن
كلمة « عقارب » قد أفسدت ألوانها الزاهية

هذه الآخذ التي تنتشر في مواضع قليلة من « ابن المفر » ،
لا يمكن أن يخلو منها أثر من الآثار الفنية ...
وأعود فأقرر أن هذا الديوان يثب بالشعر العربي الحديث
وثبات قل أن نجد لها مثيلاً في ديوان آخر .

أنور المعداوي

من الروية وإيمان الفكر ... كل ما في العزلة من خلجات النفس
وخفقات القلب وهزات الشهور ، تلك الانعكاسات المادية المحسة
قد عبر عنها في هذه الأبيات بأشياء معنوية ؛ « فالعبدان المصلية »
بلا دين ، و « الأغصان المستنفرة » بلا ذنب ، و « الأنهار
المتفجرة » من الأسرار ، و « الأنفاس الصامتة » التي تدق كالجواس
في معبد القلب ، و « الحيات الساعية » من الساعات ، كل هذه
المنويات التي تنبع من العقل الباطن يمكنك أن تردّها إلى وقع
العزلة على العقل الواعي ؛ ذلك الميزان الشموري الذي يسجل
ما في الوحدة من مظاهر الرهبة والصمت ، والرغبة في اختراق
حجب الغيب ، وبطء النقلة في خطوات الزمن ، وامتلأه
الجو بالأسرار ، واستجابة الوجدان لدعاء مجهول يوحى
بالتمهيد والصلاة ...

وبمثل هذا التطبيق ينجاب ذلك الغموض الذي يطالعك في
بعض قصائد الأستاذ محمود حسن إسماعيل حين تلقاه هنا أو تلقاه
هناك .. في « عرفت السر » و « نهر النسيان » و « الخريف »
و « جلاد الظلال » هاتان ظاهرتان أو ناحيتان ؛ ويبقى أن نسجل
ناحية أخرى لها وزنها عند الكلام عن الفن التصويري في الصياغة
الشمرية ، هذه الناحية تتمثل في الربط بين أجزاء الصورة الوصفية
تتمثل في الربط الشموري كما تتمثل في الربط التعبيري ... ومن
اتصال هذا بذلك ، ومن التوفيق في اختيار الزوايا وتحديد النسب
تتكمّل الوحدة الفنية التي تخلق من الصورة الكاملة لوحة نابضة
تناسق فيها الجزئيات في نطاق الدركات الحسية والنفسية ...
هذه الظاهرة تستطيع أن تلمسها في « الشك » و « نشيد الأغلال »
و « خمر الزوال » و « العبد المرجوم » و « الانتظار » ، وتعال
نستمع له وهو يصف لحظة من لحظاته :

انتظر هنا ... وطال انتظارى وهي في أعين التفات وذعر
وسؤال لكل شيء حوالى وإيماء لكل طيف يمر
وانتباء ، وغفلة ، وربيع ، وخريف ، وشيب زهر وعطر
وجناح يهفو ، وآخر يهتاج ومن بين ما يرفان طير
وأنا سبب توهج منه لخطاها أيك رطيب وزهر
وهي لا أقبلت ولا عاد منها لشقائى بعودة الكأس خر
هذا هو الشاعر الإنساني ، وشاعر الرمزية المطبوعة ، وشاعر
الصورة الوصفية الكاملة ، فاهى الفجوات الشمرية التي يثب
فيها الناقد ولا يستطيع الغنى في طريقه دون أن يشير إليها ؟ .

عرب ويهود على السواء !

فأين سليمان يحكم ؟ هل يتعمص في برنادوت ١١٩ -



نحو المزار

هكم: سليمان:

في محيط النحر:

جرى النجاة على اعتبار كلمة (أشياء) ممنوعة من الصرف ،
والتسوا لذلك الحكم عللاً غريبة ؛ فمنهم من اعتبرها اسماً مفرداً
منتهياً بالآلف المدودة ليبرر منهها من الصرف ؛ وهذا غريب
جداً ، لأن قصد الجمع واضح كل الوضوح في هذه الكلمة .
ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيء) ؛ ومنهم من تعسف فادعى
أنها جمع (شيء) على وزن (سيء) وقال إنها في الأصل
(أشياء) على وزن (أدعياء) ثم حصل فيها ما ادعاه من قلب
وحذف مما لا محل لمرضه على القارئين .

والذي استعظمت أن أهتدى إليه بمدروية وتأمل أن الكلمة
جمع (شيء) ووزنها (أفعال) ومثالها جمع (ق) وهو (أقياء)
وحقها أن تكون معروفة كما صرفت (أقياء) وأمثالها ولا
حجة لمن منهها الصرف بورودها غير منونة في الشعر ، لأن
الضرورة الشعرية تبيح صرف المنوع والعكس ؛ ولكنهم
وجدوها في القرآن الكريم في سورة السائدة غير منونة ، فقد
جاءت في قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)
ويحيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلة التي أوردها
ولكنه نتيجة القاعدة العامة التي اتفق عليها النحاة وهي جواز
صرف منع الصرف وصرف المنوع للتناسب والضرورة ،
وما التناسب إلا مراعاة الانسجام في جرس الكلمات والتلفاف
النغم بين أجزائها ؛ ولذلك قرئ في التواتر (سلاسل) وأغلالاً
(وسعيراً) وكلمة (سلاسل) ممنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى
الجموع ، ولكنها صرفت لانسجام مع (أغلالاً وسعيراً) وقرئ
(ولا ينفوثا ويهوقا ونسراً) و (ينفوث ويهوق) ممنوعان من
الصرف للملحمة ووزن الفعل ، ولكنهما صرفاً في هذه القراءة
للتواتر لانسجام جرسهما مع (نسراً) وكذلك (كانت قواريرا
قوارير من فضة قدروها تقديراً) . فإن قوارير الأولى نونت
لتناسب فواصل الآيات .

إلى صديق الأستاذ العقاد المحترم

في التوراة مطارق كثيرة لتسكير جماجم الصهيونيين الأذال
في الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول قصة غواها أن
مرأتين وقتتا بين يدي الملك سليمان تنازعا ن طفلاً . فقالت الأولى
إني وهذه المرأة نسكن في بيت واحد ، وقد ولدت كل منا ولداً ،
وفي هذا الصباح صحت فإذا الطفل الذي على ذراعي ميت ، وإذا
هو ابن هذه المرأة ، ورأيت ابني على ذراعها . ولأنما الطفل ابنها
بات لأنها اضجعت عليه . وقامت وسرقت ابني وادعته لنفسها ،
فأالطفل الميت هو طفلها ، والحى طفلى . وأنكرت المرأة الأخرى
هذا الكلام وقالت بل الحى هو طفلى .

فقال الملك سليمان أيتوني بسيف . فأتوه بسيف . فقال :
أشطروا هذا الطفل شطرين واعطوا كلا من المرأتين شطراً .
فصاحت الأولى : رحماك يا سيدى الملك ! لا تشطروه ! اعطوه
كله لها . وقالت الأخرى : بل اشطروه واعطوني نصفه ! فقال
سليمان الملك : اعطوه للأولى فهي أمه .

فلما سمع جميع إسرائيل بهذا الحكم خافوا سليمان ، لأنهم
رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم

فأين سليمان يحكم بقضية فلسطين ؟

هيئة الأمم قطيع غنم يرعاه ذئب !

ومجلس الأمن جمعية اصوص متآمرين !

فأبقى إلا محكمة العدل في لاهاي ... فهل فيها سليمان ؟

أجل ، فيها البدوى باشا رئيسها ، وهو مصرى عربى .

ولكن ، ألا تبت هناك رؤوس أفاعى الصهيونية ؟ أو عبيد

الصهيونية مثل ترومان ؟ !

قضية فلسطين أوضح من قضية المرأتين المتنازعتى الطفل !

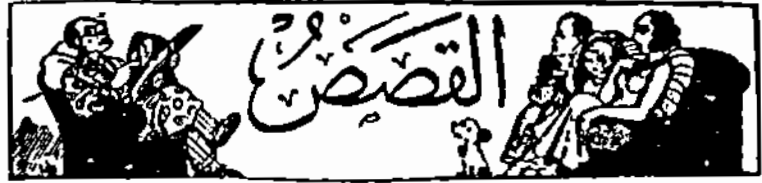
الصهيونيون يقولون : اشطروا فلسطين شطرين : لنا شطر

والعرب شطر ١١١

والعرب يقولون : لا تشطروها هي لسكانها المقيمين فيها ..

والدها وزوجها وطفلها الذي ولد حديثاً توفي جميع هؤلاء خلال شهر واحد ! وكأن الموت استطاب الرجوع إلى بيتها لاختطاف جميع أفراد عائلتها دون إعطاء مهلة كافية ! فتغلبت عليها الأحزان ، وانتابها الأزمات الشديدة ، ومكثت في فراشها ستة أسابيع في هذيان دائم كانت خلالها لا تأكل شيئاً إلا ما يسد رمقها ، ومكثت في فراشها لا تقوى على الحركة . وما أن أبصرها البروسيون حتى تملكهم الحيرة وحاولوا صمراً لإنقاذها من فراشها ، فكانت تصرخ في وجوههم وقد ظنت بأنهم سيقتلونها ، فلم يجدوا بداً من تركها في فراشها إلا أنهم أخرجوها أخيراً من البيت لإزالة ما علق على جسمها من الأوساخ وتنظيف ملابسها الكتفائية . ومكثت بجحاتها خادمة ضئيلة لإعطائها بعض ما تحتاجه من طعام من وقت لآخر .

نرى ما هي الأحداث التي ألمت بتلك المرأة حتى أصابها الجنون واليأس من الحياة ؟ ذلك ما لم يدرك كنهه أحد ، أراها كانت تحلم بالوئى وتتراءى لها خيالاتهم ، أم أصبحت ذاكرتها ضعيفة واهية كالساء الراكدة الآسن ؟ لم يدرك أحد ،



الجنونة

للأديب الفرنسي جى رى موباسار

للأديب جمال الدين الحجازى

قال السيودنلين لأصدقائه وهو ينفث دخان سيجارته في بيت البارون رافوت شانو : « سأقص عليكم أيها الرفاق قصة غريبة وقعت حوادثها في الحرب البروسية الفرنسية » إنكم تعرفون البيت الذي كنت أسكنه في « فابورج دى كورميل » كانت جارتى هناك امرأة مجنونة لطيفة ! وقد فقدت شعورها. أثر نكبات شديدة نزلت بها ، ففي العقد الثالث من عمرها توفي

أيقال : وكان القارب مقطوراً إلى المركب ، أم يقال : وكان القارب مقطوراً بالمركب ؟

وتفضل الدكتور بالإجابة ، فيبين أن الزمخشري في أساسه يقول : إبل مقطورة . . . وهي مقطورة بعضها إلى بعض ، وقطر البير إلى البير . ثم أردف هذا برأيه فقال : وأنا أقول إن عبارة « القارب مقطور بالمركب » لها وجه صحيح . ونحن نرى بعيوننا أن القارب يشد إلى المركب بحبل غليظ .

وأقول : الصحيح قول الزمخشري لا رأى « الزكى » إذ لو سأل سائل : ما المقطور ؟ كان الجواب : القارب . ولو سأل : وما المقطور به . كان الجواب : الحبل الغليظ . والحال أن السائل إنما يسأل عن المركب وهو المقطور إليه لا المقطور به .

ولو أردنا التوفيق بين قول الزمخشري والركى اللغوى لكان الصواب هو « وكان القارب مقطوراً إلى المركب بحبل غليظ » وكفى الله اللغويين شر القتال ، وسوء القال . . والسلام .

هــــــــــــــ

(الزيتون)

فالمحافظة على حسن الجرس والانسجام من عادة العرب ، والقرآن الكريم نزل على رسول الله بلسان عربي فلم لا نقول إن كلمة (أشياء) لم تنون اطراف خاص في محيطها في الآية الكريمة إذ لو نونت لتوالى مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من الثقل الذي يباه تكاف النظم في القرآن الكريم وهذا التكاثر من أمرار الإيجاز ؛ فقرئت كلمة (أشياء) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضى وصلها ، وهذا يوجب تكرار لفظ (إن) مرتين متواليين ، فن أجل ذلك لم تنون (أشياء) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة (أقياء) في الوزن والإعراب .

محمود البسيبي

المنش منطقة الاسكندرية التعليمية

في اللغة :

في جريدة « البلاغ » سأل سائل الدكتور زكى مبارك فقال :

ومكثت خمسة عشر عاماً على هذه الحالة القمصة .

نشب الحرب سنة ١٩١٤ في أوائل شهر ديسمبر احتل الألمان كورميل وإلى لأذكر ذلك كأنه حصل البارحة كان الطقس بارداً بل متجمداً وكنت جالسا على كرسي لم أستطع الحركة ، عند ما سمعت صوت أقدامهم الثقيلة الخطوات المنتظمة الصفوف ، ورأيتهم من النافذة يعمدون في الشوارع وقد انتظموا في صفوف كثيرة ، وبعدئذ أمر الضباط جنودهم بأن ينزلوا في بيوت سكان البلدة فنزل في بيتي سبعة عشر رجلاً ، وكان من نصيب جارتى اثنا عشر ، وكان القائد من بينهم . وفي اليوم التالي وصلت الأنباء إلى الجنود الذين كانوا يقيمون في بيت المرأة المجنونة بأنها مريضة ، إلا أنهم لم يقيموا وزناً لمرضها ولم يأبهوا له ، ولما سألوا عن سبب مرضها علموا أنها طريحة الفراش منذ خمسة عشر عاماً وذلك لتوالي النكبات التي نزلت بها والأحزان التي تغلبت عليها فأورثتها الأمراض ، إلا أنهم ولا ريب لم يقيموا لذلك وزناً ، واعتقدوا أن تلك المرأة متكبرة وأنها ملازمة فراشها لكي لا يقع بصرها عليهم ، ألبسوا أعداء بلادها ، ذلك ما فكروا فيه .

أصر القائد على رؤيتها ولما وصل إلى غرفتها قال لها غاضباً : يجب أن تهضي من فراشك وتنزلي إلينا « فلم تجبه ، فواصل القائد حديثه قائلاً : إنني لا أحتمل هذه الفطرية والكبرياء ، فإن لم تهضي من فراشك فساأضطر إلى إنزالك بالقوة » ولكنها لم تجبه ولاذت بالصمت . وحينئذ رجع الضباط إلى غرفته وقد اشتد غضبه واتخذ من صحتها أداة لاستعمال الشدة معها .

وفي صبيحة اليوم التالي ، أرادت الخادم تغيير ملابس المجنونة ، إلا أن المجنونة بدأت تصرخ صراخاً عالياً وقاومت ذلك ما استطاعت ، وما أن سمع القائد ذلك الصراخ حتى ذهب إليها ، ولما رآه الخادم رمى نفسها على قدميه باكياً وقالت له : إنها لا تستطيع النزول يا سيدي ، لا تستطيع ، أرجو أن تساعدها فهي مسكينة .

ولما رأى القائد ذلك ، نضح ضحكة خبيثة وألقى بعض الأوامر إلى جنوده ، فأقبلوا وهم يعملون بين أيديهم فراشاً أنجوها به نحو تلك المرأة المجنونة . اقترب أحد الجنود من فراشها وقال لها متهمكاً

وهو يفرك يديه : سنرى الآن هل تحملين ملابسك وتستبدلينها بثياب نظيفة وتسيرين في زهرة قصيرة أم لا ! ثم سار الجنود في غابة « اموقيل » وبعد ساعتين رجعوا وحدهم . لم يدر أحد ماذا حصل للمجنونة ولم يثر لها على أثر ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وأين أخذوها ، لم يعلم بذلك أحد .

بدأ الثلج ينساقط ، وغطى السهول والغابات لجأت الذئاب وهي تعوى واقتربت من بيوتنا ، مكثت مدة أفكر في تلك المجنونة الضائعة ! وحاولت صراراً الاستعلام من السلطات البروسية عن مصيرها دون جدوى . ولما عاد الربيع انسحبت جيوش الاحتلال وبقي بيت المجنونة منقلاً ، وكانت خادماتها قد توفيت في الشتاء الماضي ! ولم يهتم بالخادمات أحد سوى إذ كنت أفكر في مصير تلك المرأة أثناء الليل وأطراف النهار ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وهل هربت إلى الغابة ، أو عثر عليها أحد من الناس وأخذها إلى المستشفى رغمًا عنها ، ولم أجد ما يزيل شكوكي ولكن المصادفات والمقادير تدخلت في الأمر فأزالت هذه الشكوك ، إذ بينما كنت في الغابة وكان الفصل خريفاً أصطاد بمض الطيور الجارحة ، وقع أحدها جريحاً في حفرة مليئة بالأغصان ولما نزلت إلى الحفرة لالتقاطه رأيت حطام جثة آدمي في الحفرة ، يا إلهي ... ترى من يكون صاحبها ، وحينئذ تذكرت حالا تلك المرأة المجنونة ، قد يكون كثير من الناس ماتوا في الغابة أثناء النكبات التي حلت بهم في تلك السنة ، ولكنني لا أدري لماذا كثرت متأكداً ، بل متأكداً جداً بأنني أرى رأس تلك المجنونة وأن هذه الجثة جثتها ! وعرفت بعدئذ أن الجنود قد تركوها في هذه الغابة ، وأنها نظراً لتسكها بمبادئها التي أخلصت لها لم تمأ بموتها في تلك الغابة الوحشة ، لقد مزقتها الذئاب وبنت الطيور أعشاشها من بقايا فراشها الصوفي الممزق !

ولما رأيت هذه المناظر البشمة الحزنة كدت أبكي من عدة تآثرى ودهوت الله غلصاً أن يبعد شبح الحرب من أولادنا ، فلا يرونها أبداً .

محمد الدين الحجازي

(القدس)

الندوة الأدبية

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات طبعة فصل الصيف سنة ١٩٤٨

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالي التي كان مزودها في أول يونيه الماضي قد صدرت الآن مشتملة على التغييرات الهامة التي أدخلت على مواعيد مسير القطارات .
ونطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم بيعها مقابل عشرين مليماً للنسخة الواحدة .

مُطَبَّعَةُ السَّيَّالَةِ